المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي

المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

في هذا العدد

- التمسك بالثوابت القومية معيار الوطنية الصادقة ..
- صفحات من تاريخ الحزب
  سنوات المخاض
- الوضعية العربية الراهنة في ضوء النتائج الكارثية لحرب الخليج ..
- المعادلة الصعبة بين : الاقتصاد والسياسة والحزب والسلطة ..
- اوربا الجديدة دورها وفعاليتها ..

العدد ٢٤٨ أيار - حزيران ١٩٩١

مجلة النظرية لحزب البعث العربي الاشتراكي
يصدرها مكتب الاعلام والتثقيف في القيادة القومية

المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

في هذا العدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحيــة	٣
★ التمسك بالثوابت القومية معيار الوطنية الصادقة . . **الرفيق الدكتور فواز صياغ** **عضو القيادة القومية الاحتياط** **« رئيس هيئة التحرير »**	
● صفحات من تاريخ الحزب	٦
★ سنوات المخاض **١٩٤٠ ـ ١٩٤٧** **ـ الحلقة الثالثة ـ** **الرفيق : جورج صدقني**	
● دراسات سياسية	٢٩
★ الوضعية العربية الراهنة في ضوء النتائج الكارثية لحرب الخليج . . **الرفيق : فايز عز الدين**	
★ المعادلة الصعبة بين : الاقتصاد والسياسة . . والحزب والسلطة **الرفيق : د . ناصر عبيد الناصر**	٤٠
★ اوربا الجديدة دورها وفعاليتها . . **الرفيق : فوزي الجودة**	٥٢
● نشاطات ووثائق	٦٠

الافتتاحية

التمسك بالثوابت القوميّة معيار الوطنيّة الصّادقة..

الرفيق الدكتور فواز صياغ
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير

في اعقاب النتائج الكارثية لحرب الخليج ، برزت الحاجة المتزايدة لاعادة صياغة الموقف العربي بما يتلاءم مع المصالح العليا للامة العربية وجماهيرها ، وتوجهت الانظار الى دمشق ، فهي بما يمثله موقفها من حرب الخليج ومسبباتها وتطور احداثها ، شكلت موقفا متميزا على الصعيد القومي العربي . ومن المعروف أن القوى الاجنبية التي شاركت في حرب الخليج يهمها اولا تأمين مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية ، وهي بتدخلها لفرض الشرعية الدولية ، لم تتخل لحظة واحدة عن هدفها الاساسي ومصالحها العليا ، وكان موقف حزبنا ان التطبيق المتوازن للشرعية الدولية يجب أن يحقق في الوقت نفسه المصالح القومية للامة العربية باعتبارها جزءا من الشرعية الدولية ، ولكي يتحقق ذلك لابد من وجود استراتيجية عربية قومية موحدة حول الاهداف العليا والمصالح المشتركة للجماهير العربية ، وهذا بدوره يحتاج الى موقف عربي رسمي ، ويحتاج كذلك الى موقف شعبي عربي يدعم ويساند تلك الاهداف ويدافع عن هذه المصالح . وحزبنا الذي راقب

الاحداث عن كثب ، لاحظ كما هو معروف انقساما حادا في المواقف الرسمية والشعبية العربية من غزو العراق لدولة الكويت ، ومن الحرب التي اعقبت ذلك الغزو ، وكان هذا التباين والانقسام الذي يحدث لاول مرة في التاريخ المعاصر للقضية القومية على هذا النطاق الواسع قد اثر تأثيرا سلبيا في الواقع العربي ووضع امام الامة وجماهيرها اولويات مخالفة لاهتمامات الفكر القومي العربي على مدى الخمسين سنة الماضية بعد اغتصاب فلسطين وانشاء الكيان العنصري الصهيوني فيها ، ووضع امام حركة الامة العربية وقواها الوطنية والقومية هدفا ملحا ، والقى على حزبنا بشكل خاص وقيادته وعلى سورية عبئا جديدا يتمثل في اعادة الاولويات التي تضع في الاعتبار الاول المصلحة القومية العربية واعادة توحيد الموقف الرسمي والشعبي بما يحقق تلك المصلحة حسب الاولويات المعروفة .

لقد كان اعلان دمشق الذي حاولت سورية من خلاله تمثل مصالح الامة العربية عبر توحيد دول الخليج العربي ومصر وسورية حول اهداف واجراءات تضع في الاعتبار الاول مصلحة الامة العربية عبر استخدام امكاناتها الوطنية والقومية سواء كانت عسكرية او اقتصادية لتوحيد الموقف السياسي والتنسيق المتبادل بين قيادات دول الاعلان هذه .

وفي الوقت نفسه اتجهت قيادة الحزب لانهاء الازمة اللبنانية عبر توجيه جميع الاطراف اللبنانية المتصارعة حول اهداف عامة تأخذ في الاعتبار مصالح لبنان العربي القومية والوطنية وابعاد التأثيرات الخارجية السلبية التي اضعفته ومزقته وتدخلت في شؤونه عبر السنوات الماضية ، وفي محاولة جادة لانهاء الاوضاع الشاذة التي الم به، وانسجاما مع ما نص عليه اتفاق الطائف الذي وافقت عليه الاطراف اللبنانية جميعها ، ومن اجل ذلك كله وقع لبنان وسورية اتفاق الاخوة والتعاون والتنسيق بينهما ، وكان ذلك حدثا دفع بمسيرة لبنان السلمية خطوة كبيرة وواسعة ، كما كان عاملا مهما في رفد الوحدة القومية العربية .

وكانت المعاهدة السورية ـ اللبنانية مع اعلان دمشق بين الاقطار العربية السبعة الموقعة عليه اول حزمة نور اضاءت سماء الوطن بعد ليل حرب الخليج .

ان على حزبنا وجماهيره في الوقت الراهن وعلى قيادات القوى التقدمية والوطنية العربية اعادة اللحمة الى صفوف القوى الجماهيرية العربية التي تمايزت مواقفها في الفترة السابقة ، والمهمة الملحة امام منظماتنا القومية الآن اعادة الاتصال بتلك القوى وقياداتها ومنظماتها الشعبية والالتقاء معها على اهداف واضحة محددة تخدم الموقف الوحدوي وتعيد الاولويات الى الاهتمام الشعبي بما يخدم المصالح القومية ، ويعيد للقضية الفلسطينية الاهتمام اللازم ، ويضع النضال الجماهيري العربي في مساره الصحيح للخلاص من الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية وتامين الحقوق الوطنية والمشروعة للشعب العربي الفلسطيني ومساندة سورية وحزبها وقيادتها في موقفهم الرافض للاستسلام للارادة الصهيونية وحلفائها ، ورفض مشاريعهم المشبوهة للسيطرة على الوطن العربي وفرض الاستسلام على جماهيره والتمسك بالثوابت القومية التي اعلنها حزبنا وامينه العام الرفيق حافظ الاسد رئيس الجمهورية العربية السورية في اكثر من مناسبة .

ان هذا الموقف الواضح هو المعيار للوطنية الصادقة وللتقدمية الحقة التي تتصف بها المنظمات السياسية الشعبية العربية الآن .

ان محاولات القوى الصهيونية وحلفائها بالضغط على سورية وقيادتها وحزبها لن تجدي نفعا عندما يكون سياج سورية الجماهير العربية وقواها الوطنية والقومية .

صفحات من تاريخ الحزب

سنوات المخاض

١٩٤٠ ـ ١٩٤٧

الحلقة الثالثة

الرفيق : جورج صدقني

نتابع الحديث من حيث انتهينا في الحلقة الماضية ، فننتقل الى عرض علاقة « بعث » الارسوزي بالاحزاب الاخرى .

٣/هـ ـ علاقة ((البعث)) بالاحزاب الاخرى :

كان موقف ((**البعث**)) **بقيادة الارسوزي** من سائر الاحزاب والتنظيمات السياسية موقف الرفض المطلق . فالارسوزي « كان يرفض التعاون مع اي انسان من الفئات السياسية المعروفة في ذلك الوقت . . . لانه كان يعتبرهم ملوثين ، وافضل واحد فيهم غير شجاع لايصلح للنضال » . كان يقول : ((**انا لا اتعاون مع احد**)) **(١)** . لذلك علم الارسوزي تلاميذه ان يكونوا اعداء لهذه التنظيمات كلها .

٣/هـ/ ١ ـ ((البعث)) والاحزاب التقليدية :

كان الارسوزي يرى ان (**الكتلة الوطنية**) ، بتخاذل زعمائها ، بل ((**خيانتهم**)) ، هي المسؤولة عن ضياع لواء الاسكندرونة ، وسلخه عن سورية وطنه الام ، وضمه الى تركيا . والواقع ان الارسوزي كان **يحمل على (الكتلة) منذ ان كان في اللواء ، فلما جاء الى دمشق استمر**

في هذه الحملة ، وهاجم (الكتلة) بعنف . وكما ذكرنا من قبل ، فان زعماء الكتلة لم ينجوا من اتهاماته وحملته عليهم حتى في بغداد ، حين سافر اليها في اواخر العام ١٩٣٩ ، ليعمل مدرسا في احدى مدارسها الرسمية . لقد كان موقف((**البعث**)) السلبي من التنظيمات السياسية الاخرى استمرارا لموقف الارسوزي قبل تأسيس الحزب . يقول الشاعر **سليمان العيسى** عن موقف « البعثيين » من هذه التنظيمات ، سواء منها (**الكتلة الوطنية**) او (**الهيئة الشعبية**) المنافسة للكتلة ، والتي كانت بزعامة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر :

« كنا نعتبرهم جميعا رجعيين ، ولا يمتون الى الشعب بصلة ، ونعتبر شعاراتهم ، التي كانوا يطلقونها من برج عاجي ، مجرد شعارات فقط ، لايملك اصحابها ذرة ايمان بالجماهير العربية ، كنا متطرفين جدا في مشاعرنا ، اذا صار احد الناس وزيرا فاننا لانسمع له ، ولا نقترب منه ، لانه [صار] في نظرنا ملوثا (٢) ..

٣/هـ/ ٢ ـ ((البعث)) وعصبة العمل القومي :

اما **عصبة العمل القومي** ، التي كان الارسوزي نفسه امين سرها في لواء الاسكندرونة كله ، فقد صدم الارسوزي صدمة عنيفة بمواقف زعمائها بعد هجرته من اللواء ـ كما ذكرنا آنفا ـ وآلمه انهم قلبوا له ظهر المجن في محنته ، فاكتشف انهم تجار سياسة ((**يقولون مالا يفعلون**)) . وصار الظن يقينا عندما راى زعيم العصبة في دمشق (**صبري العسلي**) يتخلى عنها ، لينضوي تحت لواء **شكري القوتلي** الزعيم الكتلوي الجديد . فما كان من الارسوزي الا ان اعلن انسحابه من العصبة في العام ١٩٣٩ ، بعد حوالي ستة أشهر من هجرته من اللواء ، وبدا يحمل عليها ويهاجمها كمثل ماكان يفعل ازاء التنظيمات السياسية الاخرى ، وسار الحزب ، بعد التأسيس ، على هذا النهج نفسه(٣) .

٣/هـ/ ٣ ـ ((البعث)) والاحزاب ((العقائدية)) :

اما الموقف من الحزب الشيوعي (الذي كان ، في تلك المرحلة ، يؤلف حزبا واحدا في سورية ولبنان ، وكان اسمه آنذاك ((**الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني**))) فكان موقفا معاديا على الصعيد العقائدي ، لان فلسفة الارسوزي فلسفة مثالية ، والفلسفة الماركسية

فلسفة مادية . كذلك كان موقف « بعث » الارسوزي من الحزب الشيوعي موقفا معاديا ايضا على الصعيد القومي والسياسي ، فالبعث كان حزبا عربيا قوميا ، والشيوعيون كانوا ، في نظر الارسوزي ، **عملاء للاجنبي** . ولكن « بعث » الارسوزي لم يشغل نفسه كثيرا بهذا الحزب . ولم يكن الاهتمام **بالحزب السوري القومي ، ولا بالاخوان المسلمين** اكبر من الاهتمام بالشيوعيين ، وعلى كل حال فان موقفه منهما كان موقفا معاديا ايضا (٤) .

٣/هـ/٤ ـ « البعث » و « الاحياء العربي » :

سنتناول هنا العلاقة بين « البعث » بزعامة الارسوزي وحركة **« الاحياء العربي »** بقيادة **ميشيل عفلق** ، رغم ان الحديث عن هذه الحركة لم يحن وقته بعد ، لاننا لانستطيع الكلام في موقف «البعث» من الاحزاب الاخرى ونهمل ، في الوقت نفسه ، الكلام في العلاقة بين « البعث » و«الاحياء» . والحق ان العلاقة بينهما كانت علاقة معقدة ومتشابكة ، وبكلمة واحدة كانت علاقة من نوع خاص . لذلك سنتناول هذه العلاقة ـ بغية جلائها على خير وجه ـ على صعيدين مختلفين : **صعيد الاعضاء ، ثم صعيد القيادة .**

آ ـ على صعيد الاعضاء :

كان كثيرون من اعضاء حركة « الاحياء العربي » يترددون الى بيت **(السبكي)** ، الذي كان يقطنه الارسوزي ، وكانوا بالطبع موضع ترحيب كغيرهم من الوافدين لسماع احاديث **(الاستاذ)** ، لان تلك الاحاديث كانت في معظمها ندوات مفتوحة . ومن اعضاء حركة الاحياء العربي الذين كانوا يزورون بيت (السبكي) ، بين وقت وآخر ، **عبد الخالق مرعشي ، وعبد المنعم شريف ، وجمال اتاسي ، واديب اصفري ، وفيصل الركبي ، وسامي الدروبي ، وبديع الكسم** . لقد كان الموقف بين «البعث» و « الاحياء العربي » من جهة قواعد هذين التنظيمين ايجابيا ، فهذه «القواعد . . . كانت تلتقي مع بعضها كل يوم ، وتتكامل مع بعضها . كانت تسعى للتنسيق بين القيادات . . . » (٥) وكانت هذه اللقاءات طبيعية جدا ، فاعضاء التنظيمين يجلسون على مقاعد الدرس معا ، سواء في التجهيز او في الجامعة ، وكانوا يهتفون معا في المظاهرات الطلابية ، وكما كان بعض اعضاء « الاحياء العربي » يختلفون الى بيت (السبكي) لينصتوا الى شروح الارسوزي ، كان بعض اعضاء « البعث » يحضرون

الندوات التي كان يعقدها ميشيل عفلق في منزله ، او في منزل احد اصدقائه ، يوم الجمعة من كل اسبوع . وكان نفر من اعضاء «البعث» طلابا في التجهيز ، حيث كان الاستاذ ميشيل عفلق هو الذي يدرسهم مادة التاريخ ، ويشرح لهم بمناسبة دروس التاريخ العربي افكاره ، وهي افكار **« الاحياء العربي »** .

لقد كانت قواعد التنظيمين تشكل فئة واحدة تقريبا ، فالاعضاء هنا وهناك معظمهم ، ان لم نقل كلهم ، من الطلاب ، وكان كثيرون منهم ، لحداثة سنهم ، لا يفهمون سر التباعد بين **الارسوزي وعفلق ،** وكانوا يتمنون حصول اللقاء ، ان لم نقل إنهم كانوا يسعون اليه(٦) .

ب ـ الارسوزي وعفلق :

كان موقف الارسوزي من قادة الاحياء العربي سلبيا **« الى حد الاشتباه بوطنية بعضهم »** ، وكان ، في احسن الاحوال ، يصفهم بأنهم **« موظفون لدى السلطة »** مشيرا بذلك الى ان ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار يعملان في التدريس في تجهيز دمشق ، فهما بالتالي من ازلام السلطة لايخرجان (ولا يستطيعان ان يخرجا) على تعليماتها (٧) .

اما موقف الارسوزي السلبي من عفلق فلم يكن موقفا خاصا بعفلق وحده ، وانما كان موقفا عاما من جميع السياسيين بلا استثناء . فقد كان الارسوزي ، ولاسيما بعد الاحباط الذي لقيه ، والخيبة التي عانى منها بعد سلخ **لواء الاسكندرونة** ، « كثير الشك بالناس سريع الثورة عليهم ، بل سريع الاتهام لاقرب الناس اليه . . » (٨) . على ان موقف الارسوزي السلبي ، رغم كونه موقفا عاما من جميع السياسيين ، كان يحمل شيئا من الخصوصية في نقده لعفلق نظرا الى انهما ـ الارسوزي وعفلق ـ كانا يتنافسان في ميدان واحد وعلى الساحة نفسها ، ومن اجل اجتذاب مجموعة الطلاب نفسها تقريبا . لقد كان دور عفلق يتلخص ـ من وجهة نظر الارسوزي ـ في « قشمرة »البعث الحقيقي ، بحسب تعبير الارسوزي نفسه ، وكان يعني بهذا التعبير تشويه البعث ، وتقديمه للجمهور في صورة كاريكاتورية او زائفة .

واذا كانت قواعد التنظيمين قد علقت الآمال على حصول لقاء بين **« الاستاذين »** وحلمت بأن يسفر مثل هذا اللقاء عن **وحدة التنظيمين ،** فان الاخلاص للحقيقة يفرض علينا القول ان هذه القواعد كانت تعلق آمالها على الاوهام ، لان كل من عرف الارسوزي وعفلق عن كثب كان خليقا به ان يدرك انهما كانا على طرفي نقيض ، وبالتالي كان التفاهم

بينهما مستحيلا استحالة امتزاج الزيت والماء . ولعل خير دليل على مانقول انهما التقيا عدة مرات ــ كما ذكرنا في الحلقة السابقة ــ ولم تسفر لقاءاتهما الا عن تأكيد النفور والتباعد بينهما . وفي مايلي اهم العوامل التي حالت دون تعاونهما :

١ ــ كان البون شاسعا ، في الفترة التي نتحدث عنها (**١٩٣٩ ــ ١٩٤٠**) ، بين ماضي كل من الارسوزي وعفلق او التاريخ الشخصي لكل منهما : فقد جاء الارسوزي الى دمشق زعيما ، خلف وراءه في لواء الاسكندرونة مجدا عريضا، ونضالا مديدا، وسمعة عطرة، ومكانة سياسية راسخة. اما ميشيل عفلق فقد كان وقتها مدرسا شابا في التاسعة والعشرين او في الثلاثين من عمره ، اصغر سنا من **(الزعيم)** الارسوزي بعشر سنوات كاملة . ولم يكن له حينئذ اي ماض سياسي ، وانما كان قد بدا حياته السياسية لتوه ، وكان يطمح لتكوين « مكانة » سياسية لنفسه في المستقبل . ولذلك كان الارسوزي يعامل عفلق تلقائيا وكأنه في مستوى تلميذ من تلاميذه ، ولذلك ايضا «كان ميشيل [عفلق] يتهيب الارسوزي، ويتحاشى اللقاء معه ، ويخشى لسانه ، لانه كان يسمع تعليقاته عليه » (٩) . والواقع ان الارسوزي لم يكن يقتصر على نقد سياسة الاحياء العربي ، وانما كان يتعدى ذلك الى تناول شخصيتي **ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار** ، ولاسيما عفلق ، بالسخرية المرة والنكتة اللاذعة . وكان الارسوزي فارسا في هذا الميدان لايشق له غبار . وهذه الصور الساخرة ، التي كان الارسوزي يرسمها لشخصية عفلق هي التي كانت تحز في نفس عفلق ، وتورثه ألما عميقا وتجعله يتحاشى الارسوزي ويبتعد عن لقائه .

اما الانتقادات العامة لسياسة الاحياء العربي فكانت نابعة من ان (البعث) كان اكثر سلبية من الحكم ، وكان **« الاكثر تطرفا »** ؛ ولذلك « كان يطعن بكل موقف مجامل للسلطة » . و « كان ينتقص من ثورية الاحياء حين لاتحمل نفس حدته في مهاجمة السلطة » . ثم ان (البعث) كان « يتعرض بين حين وآخر لملاحقة السلطة ومحاسبتها » ، في حين ان قادة الاحياء « موظفون لدى السلطة »(١٠) .

٢ ــ اما النكات التي كان الارسوزي يطلقها لتجريح شخصية عفلق وتشويهها فحدث عنها ولا حرج : لقد كانت تتناول كل جانب من جوانب هذه الشخصية ، فتبرز عيوبها في تصوير **كاريكاتوري بارع** .

حتى لباس عفلق كان موضوعا للهزء والسخرية ، فمن المعروف ان ميشيل عفلق (وكذلك البيطار) كان يتخذ الطربوش لباسا للراس في ذلك الحين (وظل كذلك حتى سافر الى روما في ١٩٥٢) ، رغم ان الطربوش كان قد بدا ينقرض في اوساط المثقفين . و في العام ١٩٤٠ كان عفلق وحده تقريبا بين زملائه من المدرسين يتشبث بالطربوش لباسا للراس **(انظر الصورة)** . اما الارسوزي فكان يرى في الطربوش رمزا لتركيا ، وبالتالي رمزا لكل مايكرهه الارسوزي ولكل رجعي ومتخلف ومناف للتقدم والتحرر . وكان العصبويون في اللواء بزعامة الارسوزي قد هجروا الطربوش بقرار سياسي واعتمروا جميعا **« الفيصلية »** ــ نسبة الى الملك فيصل الاول ــ لباسا للراس ، ولهذا كله كان طربوش عفلق منبعا ثرا لصور كاريكاتورية يتدفق بها الارسوزي ، ولا تنفد ، وكان هذا التجريح كله يصل الى عفلق ، لانهم كانوا **« يتعمدون ايصاله »** (١١) .

وبالمقابل لم يسمع احد من ميشيل عفلق كلمة جارحة بحق زكي الارسوزي ، ولم ينقل احد عن لسانه طعنا او تشهيرا بشخصه ، وارجح الظن انه كان يتهيب ذلك ، فيكتم مشاعره في نفسه ، ولا يبوح بها لاحد .

٣ ــ واهم من كل ماسبق ان زكي الارسوزي كان رايه سيئا في ميشيل عفلق الى حد انه كان يطعن في وطنيته . ومن الادلة على ذلك، في رايه ، ان ميشيل عفلق كان شيوعيا **(وكل شيوعي عميل للاجنبي في نظر الارسوزي)** . ومما يؤكد ان الارسوزي كان يعتقد ان عفلق(وكذلك صلاح البيطار) كان شيوعيا رواية لجلال السيد (الذي كان ، قبل البعث ، مثل الارسوزي عضوا في عصبة العمل القومي) . يقول فيها انه بينما كان خارجا مع عفلق والبيطار ، ذات يوم من عام ١٩٤٢، من فندق (الاوريان بالاس) ، التقوا بالارسوزي ، فحياه وانتحى به جانبا ، وساله الارسوزي ماذا تفعل مع صاحبيك ؟ فاجابه : نتذاكر في وضع مبادىء لحزب قومي عربي . فعقب الارسوزي قائلا : « الحمد لله ان اصحابك لم يعودوا شيوعيين ، نزلوا الى الميدان القومي »(١٢) .

والواقع ان القول بان ميشيل عفلق كان شيوعيا في وقت من الاوقات ليس بدون اساس ، فعندما كان طالبا في باريس كان ينظر الى الحزب الشيوعي ، على حد قوله هو نفسه « من بعيد نظرة عطف

على مدخل تجهيز دمشق (١٩٤٠) الاساتذة ميشيل عفلق (الوحيد بالطربوش) ، وفاخر عاقل (الثالث من اليمين) ، ثم انور الرفاعي وجودة الهاشمي ويوسف العش . وفي الصف الاوسط الطالب بديع الكسم (الثالث من اليمين) والطالب عبد الحميد دركل (الخامس) ل

وتقدير ، دون أن تجمعنا به اية رابطة » . وكان عطفه على « تلك الفكرة » ناجما عن أعجابه العظيم بـ « ادباء احرار الفكر شرفاء النفس ، امثال (**أندريه جيد**) و (**رومان رولان**) » اللذين لم يكونا « شيوعيين حزبيين » في راي ميشيل عفلق نفسه(١٣) .

لقد كان عفلق معجبا اعجابا عظيما بأندريه جيد ، فتأثر به تأثرا عميقا ، واخذ يقتدي به في كل شيء ، في اسلوبه ، وفي افكاره ايضا . ولما كان أندريه جيد في تلك المرحلة معجبا اعجابا شديدا بالشيوعية ، وبتجربة الاتحاد السوفياتي بوجه خاص ، فان ميشيل عفلق قد نسج على منواله . فلما سافر اندريه جيد الى الاتحاد السوفياتي « انقشعت الغشاوة عن عينيه » وعاد من هناك عام ١٩٣٧ ، ليؤلف كتابه الشهير ، الذي عبر فيه عن « **خيبه امله** » في الشيوعية وفي الاتحاد السوفياتي على حد سواء ، عندئذ « انقشعت الغشاوة » عن عيني عفلق ، واتخذ من الشيوعية موقف العداء .

ومن الجدير بالذكر ان عفلق كان يحاول ، في كلامه الذي اوردناه آنفا عن صلته السابقة بالشيوعيين ، أن يقلل من شان هذه الصلة القديمة ، لان كلامه هذا يعود الى عام ١٩٤٤ ، أي الى ما بعد **طلاقه من الشيوعية** بسبع سنوات .

على انه ، اذا كان صحيحا ان ميشيل عفلق لم يكن في يوم من الايام « شيوعيا حزبيا » ، شانه في ذلك شان أندريه جيد ، فاننا لا نبتعد عن الصواب كثيرا اذا قلنا انه ظل « **شيوعيا غير حزبي** » حتى عام ١٩٣٦ او ١٩٣٧ ، عندما حذا حذو اندريه جيد ، وانقلب من صديق للشيوعية الى عدو لها . ولعل خير دليل على الصلة الوثيقة ، التي كانت تربط ميشيل عفلق بالحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني ، هو الوثيقة التي وقعها عام ١٩٣٤ مع نفر من المثقفين اللبنانيين والسوريين ، وكلهم من الشيوعيين او اصدقائهم المتعاطفين معهم ، وهي الوثيقة المعروفة باسم « **وثيقة زحلة** » . وقد اعادت جريدة (**النداء**) اللبنانية ، الناطقة باسم الحزب الشيوعي اللبناني ، نشر نص هذه الوثيقة ، وقدمت له بما يلي بالحرف :

« والوثيقة التي ننشرها هي نص البيان ، الذي صدر عن اجتماع منظمة الحزب الشيوعي اللبناني ، في شهر اذار من عام ١٩٣٤ ، بمسؤولية مباشرة من نقولا شاوي ، في منزل يوسف الهراوي في زحلة ، وبحضور عدد من المثقفين

اللبنانيين والسوريين ، نذكر منهم : سليم خياطة ، الدكتور جميل صليبا ، الدكتور كامل عياد ، ميشال عفلق ، صلاح الدين البيطار ، فؤاد الشايب ، يوسف خطار الحلو ، مصطفى العريس ، رشوان عيسى ، الياس القرعوني ، ميخايل طراد ، احمد سري ، يوسف الهراوي » (انظر صورة الوثيقة) .

فهل نستغرب ، بعد هذا كله ، اذا اعتقد الارسوزي ، في اوائل الاربعينات ، ان ميشيل عفلق شيوعي ؟ واذا تذكرنا ان الارسوزي كان يرفض الشيوعية على صعيد الفكر والفلسفة ، وانه كان يرى فيها نوعا من العمالة للاجنبي على الصعيد السياسي ، ادركنا مدى استحالة اللقاء بين الارسوزي وعفلق .

٤ – وتأتي بعد العوامل التي ذكرناها آنفا ، بل ربما قبلها جميعا ، مسالة الطبع والمزاج . على هذا الصعيد كان الارسوزي وعفلق شخصيتين متنافرتين ومتناقضتين . فبينما كان الارسوزي **فيلسوفا مثاليا** يملك نظاما فلسفيا محددا على صعيد الفكر واللغة، كان عفلق **شاعرا حالما** يؤثر العبارة الادبية الموحية على العبارة الدقيقة الواضحة . وبينما كان الارسوزي **« معلما »** يتدفق في شرح افكاره ، ولا يطيق ان يصغي الى افكار الآخرين ، كان عفلق **صموتا** قليل الكلام ، يسمع اكثر مما يتكلم ، فاذا تكلم فبسرعة كلمة واحدة او كلمتين في الدقيقة ! وبينما كان الارسوزي ذا طبع حار واندفاعي سرعان ما تتملكه الحماسة ، كان عفلق بارد الطبع بطيء الحركة . وبينما كان الارسوزي **صريحا لا يخفي عواطفه** ، كان عفلق **منطويا وكتوما** يؤثر عدم البوح بمشاعره . وبينما كان الارسوزي **أنيقا** ذا ذوق رفيع في انتقاء الملابس وربطات العنق ، لم يكن عفلق يولي هندامه اهتماما كبيرا ، وان كان **يعتني بتقليم اظافره عناية فائقة !!**

٥ – ولعله من المفيد ، بهذه المناسبة، ان نورد هنا انطباع المرحوم **عبد البرعيون السود** (وهو قيادي بعثي قديم وبارز) عن شخصية كل من ميشيل عفلق وزكي الارسوزي . ففي رسالة ارسلها من حمص الى صديقه المرحوم **صدقي اسماعيل** ، بتاريخ ٢٩ كانون الاول ١٩٤٥ ، قال عن **عفلق** :

« ... كنت منذ ساعة مع الاستاذ ميشيل في الفندق ، وجلست معه جلسة طويلة ، شعرت خلالها بما للايمان من قوة ، وللاخلاص من جمال . ورايت كيف تتبلور الحياة في اصفى اشكالها عندما تحتشد كلها في سبيل الغاية الواحدة ، شابة كلمتها التي تريد ان تقولها . رايت هذا ، وانتزع ميشيل اعجابي وحبي . لكنني لم اشعر بغير هذا مع الاسف ... لم اشعر بالحماسة معه ابدا ... » .

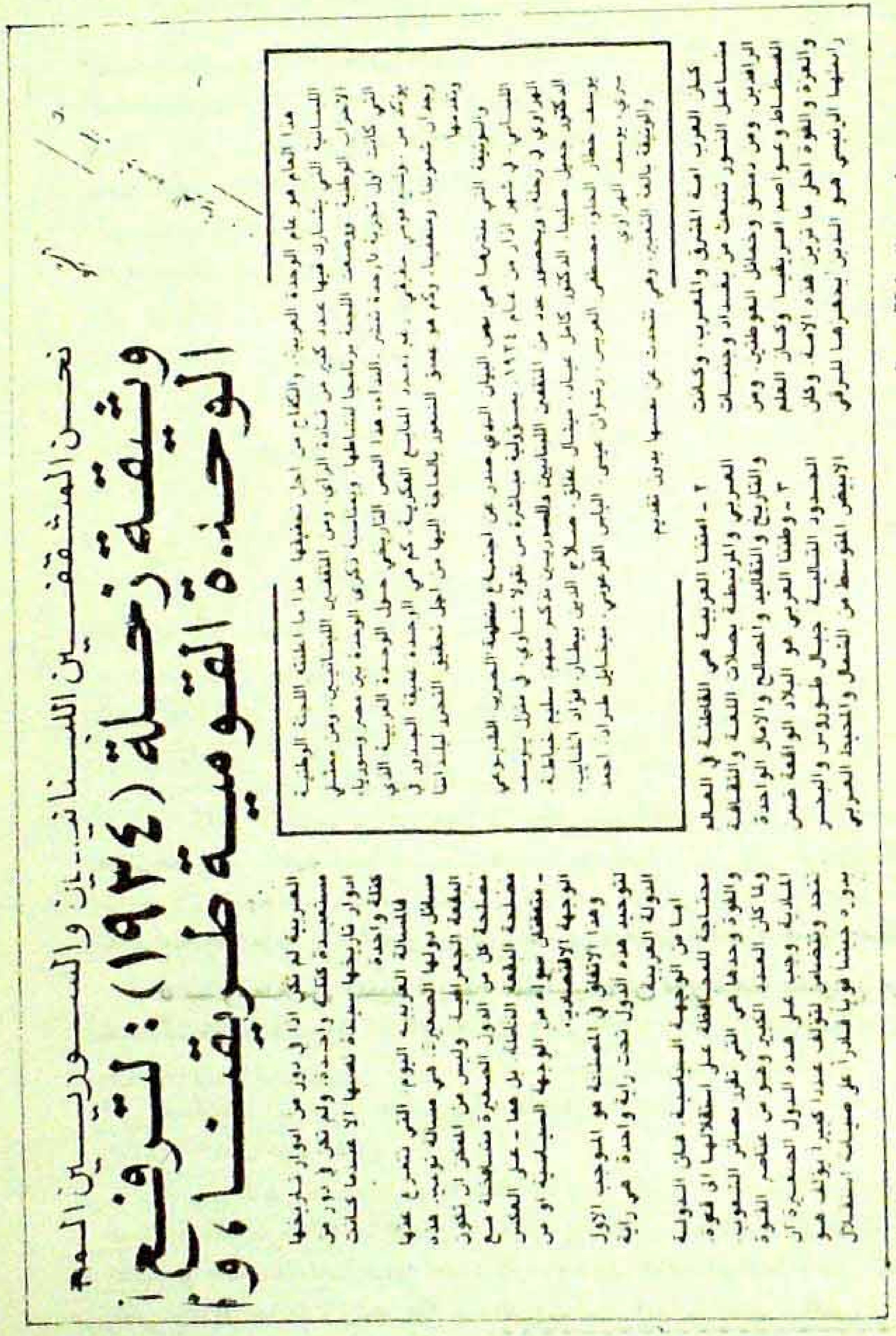
نحن المثقفين اللبنانيين والسوريين المج...
وثيقة زحلة (١٩٣٤): للترفع
الوحدة القومية طريقنا و...

جزء من « وثيقة زحلة » كما ظهر في العدد ٨١٦ من جريدة « النداء » يوم الأحد في ٢٤ شباط ١٩٩١ .

وفي رسالة اخرى وجهها الى **صدقي اسماعيل** ، من حمص ايضا ، بتاريخ ١٨ شباط ١٩٤٦ ، يقول عبد البر عيون السود عن **الارسوزي** :

« ... لم تكن هذه الرسالة لك ، لانني حملت الورقة معي لاجيب (ممدوح) على رسالة وصلتني منه البارحة . لكن جلستي القريبة من الاستاذ (زكي الارسوزي) هي التي حولتني اليك . انه استاذك . وهاهو يتحدث على الطاولة المجاورة باستمرار كعادته . انني اسمعه يقول : قتل المستعمر فينا كل شيء ، حتى الخيال ، فليس منا من يستطيع ان ينفذ من خلال الشلل الذي اصابنا الى صورة نبيلة ، ترسم مستقبل الحياة العربية . كلام جميل . لكنني اعتذر اليك ان رايتني انسحب من جلسته الى هذه الطاولة ، محتجا بالكتابة ، هاربا من حديثه في الحقيقة . انني لم اعد استطيع ان استمع اليه ، رغم حبي العميق له . هاهو بوجهه الانساني الجميل، وبانافة كلماته وحركاته ، وبطفولته ونكاته ، يوحي بانسان حقيقي . لكنه في نفس الوقت يشعرني بماساة ، علها نتيجة ماساة اعم ، ماساة حياتنا العربية كلها ، انه بقية من كفاح ، واطلال امل ، وصدق يخاطب ذاته فحسب . فقد نجح المجتمع في حصاره له ، وتهديم اجزاء من نفسه . ولعله كان اذكى منه .. اذ عرف ان استمرار اضطهاده لن ينال منه ، فعمد الى سد الافاق في وجهه مستغلا احسن استغلال طبعه الصريح ، وافتقاره للدهاء يظهره بمظهر (النبي) ، الذي لايجدي التعامل السياسي معه . وقد كانت هذه الخطة ناجحة تماما . فشبه النبي هذا ، الذي وصل في تجربته في الماضي الى مستوى المناضلين والدعاة الافذاذ ، لايستطيع ، وقد اقتلع من بيئته ، ان يهبط الى مستوى الاعمال الصغيرة والخطوات البطيئة والمناورات والمصالح ، التي وجد نفسه فجاة ضمنها . انه سيستمر في صوته العالي ، فاذا وضعت الحواجز امامه ارتد الصدى اليه ، واصبح مع الزمن يحاور نفسه ويجترها ، ثم لايلبث ان يصبح خارج التيار . لم يقتلوه لان القتل استشهاد بل سلبوه سلاحه . انها طريقة اولاد الافاعي .. ما يؤلم فيه هو مايبدو عليه من انه فقد القدرة على المعاناة . انه دائما في مستواه ذاك ، وبحالة نفسية واحدة لاتتغير . يتكلم مع الجميع ، ويكرر افكاره واحاديثه ، دون ان يهتم بمدى الاستجابة ، ولا بالتاثير العملي لكلامه ... »(١٤) .

بقيت ملاحظة لابد منها ، وهي ان الصورة التي رسمها **عبد البرعيون السود** لعفلق في العام ١٩٤٥ لاتختلف في شيء عن صورته في اوائل سنوات الاربعينات ، وهي المرحلة التي نحن بصددها . اما الصورة ، التي رسمها للارسوزي في اوائل العام ١٩٤٦ فهي صورة الارسوزي في خريفه السياسي ، الارسوزي الذي انصرف

عن السياسة بمعناها الضيق الى عالم الفكر الواسع الرحيب ، الارسوزي الذي انفصل عن عالم الواقع واصبح يحيا وحيدا في عالمه الخاص . عبد البر عيون السود لايقدم لنا هنا صوره لمواسم العز، ولكنه يرسم لنا لوحة تمثل جلال الغروب .

٣/و – مصير « بعث » الارسوزي :

يقول الدكتور **وهيب الغانم** : « منذ عام ١٩٤٢ ، بدات عوامل الفقر والاضطهاد وبطء انتشار الحزب تعطي نتائجها السلبية ، فظهر الارهاق النفسي على زكي [الارسوزي] » . ويضيف ان سبب هذا الشعور ببطء انتشار الحزب هو « طموح الارسوزي الى ان يقود بنفسه كفاح العرب ، ويرى بعينيه تحقيق اهدافهم ». ثم يستأنف كلامه قائلا : « اخذ انقطاعه [اي الارسوزي] عن الواقع يشتد يوما ، بعد يوم ، واخذت الشكوك والوساوس تحتل مكانا أوسع في نفسه ... » ويتابع قائلا : « في هذه الفترة نفسها من عام ١٩٤٢ تنبه زكي الى مزايا [اللغة] العربية فراح يتعمق بدراستها ، ليرسي خلال عامين اغنى واعمق دراسة في فقه **اللسان العربي** » .

وفي موضع آخر يقول الدكتور وهيب : « زكي الارسوزي تعب سياسيا ، قاومه الاستعمار بضراوة ، ضنوا عليه حتى بوظيفة معلم، كافحوه على جميع المستويات .. كافحوه ماديا ، وكافحوه معنويا ، ولما كان شديد الايمان بفكرته ، فقد اخذ ينفصل رويدا عن واقع الحياة » . ويستطرد قائلا : « هذه حقائق حزينة لا يعرفها الناس عن زكي الارسوزي ، بدأ يعيش حياة خيالية فيما يتعلق بالواقع من شدة بؤس هذا الواقع ، وبدأ يزداد حساسية ، فكان يكفي ان يرى احد تلامذته يتلكأ عن اجتماع واحد حتى يشك بسلوكيته ووطنيته . وهذا التعب المتواصل ابعده كثيرا عن اية امكانية لقيادة سياسية ... » . ثم يضيف : « واستطيع أن اشبه ايام زكي الارسوزي اعتبارا من عام ١٩٤٢ بايام (**نيتشه**) ، حيث قطع صلته بالواقع ، وازداد اشراقه الذهني اشراقا هائلا . ارتاح زكي الارسوزي الى حياته الخيالية من ناحية الواقع وترك لذهنه كل حريته في التامل » (١٥) .

ويتحدث الدكتور **سامي الجندي** عن هذه الفترة نفسها ، فيقول : « استانفنا النشاط سنة ١٩٤٢ ، وعدد الاعضاء ينخفض احيانا ثم يعود الى ماكان عليه . كانت تلك السنة قاسية الى حد

لا يتصوره العقل : فقر لا يحتمل ولا يطاق ، والمغريات كثيرة ، كنا نغافل الاستاذ ، **فنضع في جيبه مانوفره من الاكل** ، لانها كانت دائما خاوية .. واخذت تهترىء ثياب الاستاذ سريعا » . ثم يضيف : « اخذ الشقاء يدمر حياته [اي حياة الارسوزي] وكان متوتر الاعصاب يقضم نفسه ، وبدا الشك يسيطر على منطقه حتى غدا مرض اضطهاد : **كل من حوله جاسوس** . نحن تلاميذه لم نسلم من نقده اللاذع . وانتقل توتره وشكه الينا ، وبات الحزب مجموعة من الفوضويين ، تفكيرهم موحد ، ولهم نفس المنطق ، تعليلهم للاحداث يكاد يكون واحدا ، لا يثقون باحد ، يحبون الشعب ويكرهون الافراد ، يقدسون الكل ويحقدون على الاجزاء » .

ويستأنف كلامه فيقول : « ذهب الاستاذ [اي الارسوزي] الى اللاذقية فسكن فيها قليلا ، ثم الى طرطوس . كان ينتقل من بؤس الى شقاء ، هناك مرضت امه ، وعادها الطبيب فكتب الوصفة ، وانقضى يومان ، ماتت بعدهما دون ان تتناول الدواء » . ثم يضيف : « كأني بزكي [الارسوزي] انهى بهذه الحادثة حياته السياسية ، وانقطع للتأليف والتدريس . ان موت ام بلا دواء يحسم بين الخيال والواقع ، ينبه الى ان **الارض ليست وطنا للوهم** » (١٦) .

لقد بدا « بعث » الارسوزي يتلاشى منذ العام ١٩٤٢ تحت وطأة الاضطهاد والفقر والبؤس والظروف التي بلغت من القسوة حدا لا يطاق . اما الاستاذ الارسوزي ، الذي كان تلاميذه يرون فيه – كما يقول سامي الجندي – صورة حديثة « **لامام الزمان** » ، ويعدونه « **من بقايا الانبياء** » ، بحسب تعبير **سليمان العيسى**(١٧)، فقد « انفصل عن الواقع » ، واخذ يشك في كل انسان : فالسياسيون كلهم جواسيس ، حتى تلاميذه الاقربون لم ينجوا من سخريته ، بل ولا من اتهاماته .

ولكن كيف تصرف هؤلاء التلاميذ بعدئذ حيال استاذهم ؟ وما الطريق التي اختاروا ان يسلكوها ؟ لقد ظلوا جميعا يحملون له ، حتى آخر يوم من ايام حياته ، احتراما عميقا يصل الى حد الاجلال ، ولكنهم انفضوا من حوله على صعيد السياسة العملية ، بل لقد خرجوا على طاعته ، فلم يعودوا يستشيرونه ، ولا يتأثرون به سياسيا ، فكان غاضبا عليهم ، واعتبر انهم تخلوا عنه (١٨) لانهم بدؤوا ينتقلون من **«بعث»** الارسوزي الى **البعث الثاني** الذي كان يقوده ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار.

يقول سامي الجندي : « عندما انفرط عقد جماعة زكي الارسوزي

وباتوا بلا رباط يجمعهم ، انضم من بقي منهم في الجامعة والتجهيز الاولى الى التنظيم الذي يقوده الاستاذان عفلق والبيطار ، فاصبح المعبر الوحيد عن فكرة القومية العربية في دمشق ، واخذت الطليعة تنضم اليه وهو يشق طريقه .. » . ثم يقول في موضع اخر : « سنة ١٩٤٥ اتصل بي رفاقي تلاميذ الارسوزي يطلبون مني ان انضم للبعث العربي ، بعد ان انتهى بعثنا ، وترك الارسوزي العمل السياسي » ، فرفض الجندي دعوتهم ، التي يفهم منها ، على كل حال، انهم سبقوه الى الانضمام الى البعث العربي الثاني . ويبدو ان سامي الجندي قد حاول محاولة اخيرة مع الارسوزي ، فهو يقول : « في اواخر تلك السنة [**يقصد سنة ١٩٤٥**] اتصلت بالاستاذ الارسوزي ، وجهدت في اقناعه بضرورة العمل ، فرفض نهائيا . كان مؤمنا ايمانا مطلقا بعدم جدوى المرحلة ، يرى ان النخبة مكرهة على العزلة ، وان السياسة تجرها حتما الى حماة الخيانة – شاءت ام ابت – في دوامتها ، لان قوانا اقصر عن ان تسود قدرها » . ثم يضيف قوله : « في ٨ اذار ١٩٤٦ انتسبت رسميا للبعث العربي، كنت آخر المنضمين من البعث الاول الى البعث الثاني » (١٩) .

ولكن تحري الدقة يلزمنا بان نشير الى ان سامي الجندي ربما كان آخر من انضم الى (البعث العربي) قبل انعقاد المؤتمر التأسيسي في ٤ نيسان ١٩٤٧، ولكن بقي بعده آخرون، منهم الدكتور وهيب الغانم، الذي نقل نشاطه الحزبي الى اللاذقية ، بعد ان تخرج طبيبا ، وافتتح عيادة هناك في اواخر عام ١٩٤٤ . وبذلك بدأت مرحلة ثانية لبعث الارسوزي ، كان الارسوزي غائبا عنها تماما ، ولا علاقة له بها ، وكانت هذه المرحلة ، التي يمكن ان نسميها (**مرحلة ما بعد الارسوزي**) مختلفة عن بعث الارسوزي حتى على صعيد المبادىء، رغم انها كانت استمرارا له من حيث ان الدكتور وهيب الغانم (وهو من ابرز تلاميذ الارسوزي) هو الذي انشأ هذا البعث « **الجديد** » ، وتولى قيادة هذا البعث في مرحلة ما بعد الارسوزي في اللاذقية ، من اواخر عام ١٩٤٤ حتى انعقاد المؤتمر التأسيسي بدمشق في ٤ نيسان ١٩٤٧ . وفي خطتنا ان نخصص فصلا قادما لهذا البعث « الجديد » ، الذي نشأ في اللاذقية ، والذي لم تكن له اية صلة بحزب (البعث العربي) في دمشق بقيادة عفلق والبيطار، وانما كانت جذوره الحقيقية تمتد تاريخيا الى حزب (البعث العربي) الذي اسسه زكي الارسوزي في دمشق في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٠ .

ثالثا ـ حركة الاحياء العربي وحركة نصرة العراق

١٩٤٠ ـ ١٩٤٢

في النصف الثاني من الثلاثينات تكونت في دمشق جماعة تضم **« بعض المثقفين من مختلف العقائد »** ، وكانت ذات طابع ثقافي وادبي، وكان اعضاؤها ينشرون مقالاتهم الادبية والثقافية وقصصهم وشعرهم في مجلة **(الطليعة)** التي كانت تصدر في دمشق ايضا . وكان من أبرز هؤلاء الاعضاء الاستاذ ميشيل عفلق ، والدكتور كامل عياد ، ونظيم الموصلي والآنسة اليس قندلفت(٢٠) . ولما كان بعض هؤلاء شيوعيين او قريبين من الحزب الشيوعي ، فقد اصطبغت مجلة (الطليعة) بهذه الصبغة ، كما اصطبغت الجماعة المذكورة بطابع يساري تقدمي ، بل شيوعي تقريبا(٢١) .

وبصرف النظر عن التزام ميشيل عفلق سياسيا بالحزب الشيوعي او عدم التزامه (وهذا امر قد نعود اليه عند الحديث عن موقف البعث العربي في مرحلة لاحقة من الشيوعية) فان كتابات ميشيل عفلق في الثلاثينات كانت كتابات **ادبية محضة** ، توزعت على فنون القصة القصيرة ، والشعر ، والمسرح ، والمقالة الاجتماعية . وهي كتابات ذات قيمة ادبية ريادية لاتنكر ، حتى ان الدكتور **شاكر مصطفى** عبر عن اسفه لانصراف ميشيل عفلق عن الادب ، ووصف عفلق الاديب بانه **« سمفونية لم تتم »** (٢٢) .

غير ان ميشيل عفلق اخذ ينصرف بالتدريج عن مختلف فنون الادب ويتجه نحو المقالة الاجتماعية . وبمرور الايام ازداد اتجاهانحو الادب الملتزم ، ثم نحو الفكر السياسي المباشر ، وكان اوضح مثال على ذلك مقالته **(ثروة الحياة)** التي شرح فيها الاشتراكية كما يفهمها ، ويدعو اليها ، وذلك في العام ١٩٣٦ .

ويبدو ان اتجاه ميشيل عفلق نحو العمل السياسي قد اخذ يدفعه في اواخر الثلاثينات الى العمل على تأسيس **«حركة»** سياسية قومية تنأى بنفسها عن تهمة الشيوعية ، التي لصقت به ، وتكون منطلقا لنهضة فكرية وثقافية عربية بالمعنى العام والشامل ، وافضى هذا الاتجاه ، على نحو طبيعي ، الى نشوب خلاف عميق بينه من جهة ،

وبين كامل عياد ونظيم الموصلي من جهة ثانية ، انتهى الى الفراق النهائي(٢٣) .

وربماكان صديقه القديم صلاح الدين البيطار (الذي لم يكن له اي نشاط ادبي) ، اول من **استقطبه** ميشيل عفلق للعمل السياسي معه، ولاسيما ان البيطار كان زميلا لعفلق في التدريس في تجهيز دمشق ، وتوطدت هذه الزمالة والصداقة عندما وقف عفلق الى جانب البيطار مدافعا عنه في موقف صعب ، وجد نفسه فيه امام جميع زملائه المدرسين(٢٤) .

كانت دمشق في تلك الآونة تشكو من **الفراغ السياسي** ، فعقدت فيها اجتماعات كثيرة من اجل الوصول الى تأسيس حزب ، او تنظيم سياسي يسدهذا الفراغ، وكان «اهمها اجتماع عقده الاساتذة **ميشيل قوزما، زكي الارسوزي، ميشيل عفلق، صلاح الدين البيطار، شاكر العاص اليس قندلفت** ... قر الراي فيه على انشاء منظمة ماعتمت ان انتهت بعد الاجتماع الاول » (٢٥) . بعد هذا سافر الارسوزي الى بغداد ، كما ذكرنا في صفحات سابقة ، واستمر عفلق في تلمس طريقه الى العمل السياسي والبحث عن مخرج يطمئن اليه ، بعد خيبة امله في الشيوعية ، وقد قضى عفلق في بحثه هذا ـ على حد قوله في كراسة **« القومية العربية وموقفها من الشيوعية »** ـ عامين من التأمل ، اي العامين ١٩٣٨ و ١٩٣٩ ، الى ان جاء العام ١٩٤٠ فاسس « حركة » سياسية ذات طابع ثقافي ، او فلنقل حركة ثقافية ذات طابع سياسي، اطلق عليها اسم **« حركة الاحياء العربي »** .

لقد عاشت « حركة الاحياء العربي » ثلاث سنوات (ربما اقل او اكثر قليلا) ، قبل ان تغير اسمها ، وتتخذ بدلا منه اسم **« حركة البعث العربي »**(٢٦) ، ونقسم تاريخ هذه الحركة الى ثلاث مراحل : المرحلة الاولى تمتد من البداية حتى تشكيل **«حركة نصرة العراق»** في ايار ١٩٤١، والمرحلة الثانية هي مرحلة حركة نصرة العراق حتى اوائل حزيران ١٩٤١ ، والمرحلة الثالثة تمتد من انهيار **ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق** الى اتخاذ اسم **« البعث »** بدلا من « الاحياء » في وقت ما من النصف الاول من العام ١٩٤٣ .

١ – الاحياء العربي : ١٩٤٠ – ايار ١٩٤١ :

يرجع الدكتور شاكر مصطفى بداية حركة الاحياء العربي الى أيار ١٩٤٠ (او لعلها بداية علاقته بها) ، بعد ان ترك « عصبة العمل القومي ») ، ويقول ان الاسم كان مستوحى من الكلمه الايطاليه (ريرور جيمنتو) ، التي كانت تطلق على حزب « البعث » الايطالي ، الذي كان له دور اساسي في تحقيق الوحدة الايطالية . ولكنهم وجدوا كلمة (البعث) حينئذ ثقيله على السمع واللسان ، فاستبدلوا بها كلمة (الاحياء) القريبة من معناها . وفي هذه المرحلة كانت الحركة سرية ، فلم يتجاوز عدد اعضائها بضع عشرات من الطلاب ، وان كانت قد لفتت الانظار ببعض بياناتها ، التي كانت تطبع على ((الجيلاتين))(٢٧) .

في الايام الاولى ، بدأ ميشيل عفلق « هو وصلاح الدين البيطار بعقد اجتماعات سياسية لمجموعات صغيرة من طلابهما في بيتيهما ايام الجمعة » ، وهي ايام العطلة المدرسية « بينما استمرا بالتدريس في التجهيز ، وهي الثانوية الحكومية الرئيسية في دمشق »(٢٨) . وكان الدور الاساسي في هذه الاجتماعات لميشيل عفلق ، فهو الذي كان ينفرد بطرح الافكار وشرحها ، على حين اقتصر دور صلاح الدين البيطار على تبوء المرتبة الثانية بين الحاضرين ، بعد ميشيل عفلق ، فلم يشترك في طرح الافكار ، ولا في شرحها . وهناك من يروي انه كان يحضر مع الطلاب والمريدين ، وكانه طالب كبير ، او مريد متميز ، حتى لقد قيل انه كان يحرص على ان يكتب بنفسه شروح (الاستاذ) واحاديثه كغيره من الطلاب والمريدين .

يقول سامي الجندي عن عفلق في هذه المرحلة :

« لم يكن الاستاذ عفلق مجهولا في دمشق ، فقد عرفته استاذا وكاتبا واديبا ، قرأته في مجلة (الطريق) الشيوعية وفي جريدة (الايام) ... » .

ويقول ايضا :

« قرأت له قصصا قصيرة بارعة نزة البيان : سنتعاد (مسرحية من فصلين صغيرين) تضعه في مستوى الكتاب العظام ، تقفز به بعيدا عن كتابنا ... أرى انها افتراق عن (اندريه جيد) . فيها اثر من نيتشه في مسوح شرقية حالمة ، لمسات فنان اصيل ينزع الى الرحيل عن ارض الفن ، يعاني ازمة الفرار من ابداعه ، لم تحتمل قواه روعة الفنان فختار السياسة ناجيا بضعفه اليها . قصيدته (اعصفي يارياح) من روائع الشعر العربي ، تنبض بالصوفية والالوان ، تنبيء – كما يخيل لي – ان طموح الشاعر بعيد عن القوافي والاوزان » (٢٩) .

كان عفلق قد بدأ يكون لنفسه مكانة مرموقة في حقول الادب

المختلفة ، وصار معروفا بوصفه كاتبا تقدميا واديبا راسخ القدم . فلم يكن غريبا ان يكتب **ناجي مشوح** عن ميشيل عفلق الاديب ، في مقالة بعنوان « ويسألونك عن الادب في دمشق » ، تحدث فيها ايضا عن نزيه الحكيم وجميل سلطان وعبد المطلب الامين وهشام دباب والدكتور شكيب الجابري ونسيب الاختيار وعفيفة صعب وسهيل ادريس وعبد السلام العجيلي . يقول ناجي مشوح في تلك المقالة :

« ميشيل عفلق عبقرية من عبقريات شباب العرب ، يملك زمام قلمه الى حد بعيد . تطالعك في كتاباته وحدة احساسية فكرية متماسكة الاجزاء . متعدد جوانب الثقافة وشاعر من طراز جديد . انكر ان الشيخ علي الطنطاوي نال من شاعريته في كثير من التطفل اللئيم ، والفضول الزري !! وحديث ذلك ان الاستاذ حبيب الزحلاوي اعلن مرة في مجلة الرسالة ، ان الشاعر المصري الدكتور ابراهيم ناجي سرق الاستاذ ميشيل عفلق في قصيدته « العاصفة » ، واثبت القصيدتين في الرسالة المصرية ، مدللا على وجود سرقة ادبية واضحة ، فوثب الشيخ علي ينفي ملحا وجود شاعر في دمشق اسمه ميشيل عفلق . والغريب هنا ان كل من اطلع على القصيدتين اقر هذه السرقة الادبية من جانب الشاعر المصري ، الا ميشيل عفلق ، وعلي الطنطاوي طبعا »(٣٠) .

كل شيء كان يوحي بان في اهاب ميشيل عفلق اديبا يذكر اسلوبه الحار بأسلوب أندريه جيد ، وشاعرا مبدعا هو نسيج وحده بين الشعراء ، شاعرا يعد رائدا من رواد الشعر العربي الحديث ، سبق نازك الملائكة وبدر شاكر السياب بزمن طويل . ولكن **المؤسف حقا** ان ميشيل عفلق كان قد بدأ في تلك المرحلة يبتعد في كتاباته عن الادب الخالص ، وينصرف عن الشعر والقصة والمسرحية ، ليخوض لجة الفكر السياسي بعقلية الفنان ، ويلج باب المقالة السياسية بأسلوب الشعراء .

ففي العام ١٩٣٥ نشر مقالته ((**عهد البطولة**)) ، وفي العام ١٩٣٦ نشر مقالته ((**ثروة الحياة**)) (٣١) ، التي شرح فيها ، بأسلوب شاعري ، وجهة نظره في **الاشتراكية** ، والتي ظل البعثيون ، من مريدي عفلق ، حتى عام ١٩٥٨ على اقل تقدير ، يعدون هذه المقالة دستور الاشتراكية في الحزب . فلما جاء العام ١٩٤٠ كان قد هجر الادب وانصرف نهائيا عن الشعر ، **فمات الشاعر الاديب ، وبعث من جديد** سياسيا يمارس السياسة بأساليب الشعر والادب (٣٢) . في ذلك الحين كان ميشيل عفلق قد انصرف نهائيا الى الكتابة في السياسة والفكر السياسي ، وفي القومية العربية على وجه التحديد . ففي ذلك

العام نشر في هذا الموضوع نفسه ثلاث مقالات ، هي : **« في القومية العربية »** و **« القومية حب قبل كل شيء »** و **« القومية قدر محبب »**(٣٣) فكانت هذه المقالات الثلاث — مع مقالتي « عهد البطولة » و « ثروة الحياة » بدرجة اقل — هي الزاد الفكري والعقائدي لاعضاء حركة الاحياء العربي في مرحلتها الاولى ، وهي المرحلة التي غلب فيها النشاط الفكري والعقائدي على النشاط الحزبي والسياسي .

وفي العدد القادم نواصل الحديث فنعرض عقيدة **« الاحيــــاء العربي »** من خلال هذه المقالات ، فالى العدد القادم .

— الهوامش —

١ — انظر شهادة سليمان العيسى في المناضل ، العدد ٨٥ ، ايار ١٩٧٦ ، ص ٢٧ . انظر ايضا الجندي ، م. ن. ، ص ٢٩ .

٢ — سليمان العيسى ، م.ن. ، ص ٢٦—٢٧ . ومما يبعث على الاعتقاد بــان هذا الموقف السلبي ، او موقف الرفض ، كان يرجــــع الى ماقبل تاسيس حــزب « البعث » ، ان سليمان العيسى يجعل (الهيئة الشعبية) بزعامة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر مشمولة بهذه الادانة ، مع العلم بان (الهيئة الشعبية) المذكورة كان قد انفرط عقدها وتفرق شملها قبل تاسيس « بعث الارسوزي » بحوالي خمسة اشهر ، اي منذ اغتيال زعيمها الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في عيادته في (الشعلان) بالقرب مــن مدرسة « الفرنسيسكان » ، يوم السبت في ٦ تموز ١٩٤٠ . (للاطلاع على تفاصيل واقعة الاغتيال ، راجع جريدة « الف باء » ، العدد ٥٨٢٧ ، المؤرخ في ٧ تمـــوز ١٩٤٠) .

٣ — كان الارسوزي ، في اعقاب هجرته من اللواء ، في محنة مادية حقيقيـــة ، حتى انه لم يكن يجد احيانا مايسد به رمقه ، وهو الذي لم يكن عربي في اللواء يعصى له امرا عندماكان زعيم العصبة هناك (شهادة الدكتور وهيب ، المناضل، العدد ٩١، تشرين الثاني ١٩٧٦ ، ص ٦) . فكان لتخلي زعماء العصبة في دمشق عنه وقع اليم في نفسه . ولهذا كانت حملته عليهم شرسة بقدر ماكانت خيبته فيهم عميقة ، باستثناء احمد الشرباتي ، الذي كان نبيلا في تصرفاته الشخصية ازاء الارسوزي ، ولم يقطع صلته به ، فحفظ الارسوزي له الود والمعروف ، ولم يقل كلمة سوء في حقه ، حتى بعــد ان انضوى ، كمعظم العصبويين الدمشقيين ، تحت لواء شكري القوتلي . وعندما كــان الشرباتي وزيرا للدفاع في حرب سنة ١٩٤٨، التي ضاعت فلسطين في اعقابها ، جعل

النظام وقتها من احمد الشرباتي كبش فداء ، غير ان الارسوزي لم يوجه الى الشرباتي كلمة اتهام واحدة ، وان كان لم يدافع عنه .

٤ — الدكتور وهيب في (المناضل) ، م.ن. ، ص٨—٩ ، كذلك مخطوطته الكبرى ص ٦٢ ، وكذلك سليمان العيسى في (المناضل) ، العدد ٨٤ ، نيســان ١٩٧٦ ، ص ٦٨ — ٦٩ .

٥ — كتاب « البدايات في ذاكرة فايز اسماعيل » الصادر من القيادة القوميـــة بدمشق ، ١٩٨٠ ، ص ٢١ و ٢٥ . وكذلك حديث الدكتور وهيب الغانم المسجل لدينــا عام ١٩٨١ .

٦ — « البدايات » ، م.ن. ، ص ٢٥ .

٧ — الدكتور وهيب في (المناضل) ، العدد ٩٣ ، كانــون الثاني ١٩٧٧ ، ص ١٢—١٣ ، وفايز اسماعيل في (البدايات) ، م.ن.، ص ٢٥ . يتحدث الارسوزي هنا بمنطق عصبة العمل القومي ، التي كانت تحظر على اعضائها العمــل فــي ايـــة وظيفة لدى الدولة ، خلافا لسائر الاحزاب .

٨ — (البدايات) ، م.ن. ، ص ٢٦ .

٩ — م.ن. ، ص ٢٦ .

١٠ — م.ن.، ص ٢٥ .

١١ — م.ن. ، ص ٢٥ .

١٢ — جلال السيد ، « البعث » ، م.ن. ، ص ١٨ ، وكذلك حديثه المسجل لدينا عــام ١٩٨٤ .

١٣ — انظر كراسة « القومية العربية وموقفها من الشيوعية » بقلم صلاح الدين البيطار وميشيل عفلق ، مكتب البعث العربي ، دمشق ، حزيران ١٩٤٤ ، ص٦ .

١٤ — نصر الدين فارس : عبد البر عيون السود ، دار المعارف بحمص ، ط١، ١٩٨٩ ، ص ٨٣ و ٨٧ — ٨٨ .

١٥ — مخطوطة الدكتور وهيب الكبرى ، م.ن. ، ص ٧٢ — ٧٣ ، انظر ايضا الدكتور وهيب في مجلة (المناضل) ، العدد ٩١ ، تشرين الثاني ١٩٧٦ ، ص ١٣—١٤.

١٦ — الجندي ، م.ن.، ص ٢٩—٣٠ .

١٧ — الجندي ، م.ن.، ص ٢٢ . كذلك سليمان العيسى في (المناضل) ، العدد ٨٤ ، نيسان ١٩٧٦ ،ص ٥٨ .

١٨ — الدكتور وهيب في (المناضل) ، العدد ٩٢ ،كانون الاول ١٩٧٦ ، ص١٤ .

١٩ — الجندي ،م.ن.، ص ٣٢ و ٣٥ و ٣٦ .

٢٠ ـ حديث جلال السيد المسجل لدينا في عام ١٩٨٤ .

٢١ ـ لعل هذه الصبغة الشيوعية تلقي ضوءا اضافيا على ملاحظة الارسوزي

□ نحن والقراء □

نلخص في مايلي اهم الملاحظات التي وردت في الرسالة التي تلقيناها من الدكتور وهيب الغانم بعد نشر الحلقة الاولى من هذه السلسلة :

١ ـ زكي الارسوزي هو اول من استخدم اسم (البعث العربي) « اسما لحركة سياسية في العالم العربي » .

٢ ـ « ماورد بخط يدي تحت بند (١) ـ حزب البعث بقيادة الارسوزي .. لم اعن به تاريخ التاسيس ، وانما عنيت به مرحلة من الذكريات .. » .

٣ ـ كان ذهاب الارسوزي الى بغداد عام ١٩٣٩ ، وعودته في حزيران ١٩٤٠ ، وتاسيس الحزب كان في اواخر الاربعين في بيت عبد الحليم قدور .

٤ ـ حركة نصرة العراق تجمع ، وليست حزبا ، او اسما لحزب جديد . وقد وقف الارسوزي (على نقيض نصرة العراق) ضد ثورة الكيلاني ، و « اذعنا بيانا باسم البعث ... » .

٥ ـ قلب اسم (الاحياء العربي) الى (البعث العربي) كان في ١٩٤٣ وليس في ١٩٤٥ ، واذا حصل مثل هذا القول « فهو اما خطا في النقل او الطباعة ، او سقطة لسان او قلم ... » .

٦ ـ حزب الشباب لم تكن له علاقة فكرية لابدايات البعث ولا بتاسيس البعث .

٧ ـ استمر بعث الارسوزي ، رغم غيابه شخصيا عن قيادته ، وكان في عام ١٩٤٧ « من اقوى المنظمات المدنية في اللاذقية ، ان لم يكن اقواها » . ولا احد يستطيع التشكيك بان مؤسسي البعث في ٤٠ ـ ١٩٤٧ كانوا من الارسوزيين والعفلقيين .

٨ ـ التناقض في التواريخ « ليس ناجما كله عن الغموض او ضعف الذاكرة ... وانما هو ناجم عن تصميم بعضهم على تجاهل بعث الارسوزي ونكران اسبقيته » .

اننا نتفق مع مضمون هذه الملاحظات ، ونعتقد بان التوضيح الوارد في الملاحظة الثانية والخامسة يزيل كل لبس .

التي ذكرناها انفا ، والتي قالها لجلال السيد : « الحمد لله ان اصحابك لم يعودوا شيوعيين ، نزلوا الى الميدان القومي » . وذلك عندما اخبره بانه بصدد تاسيس حزب باسم (البعث العربي) مع ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار . ومن طريف ما

يروى عن الدكتور كامل عياد ، وهو احد افراد هذه المجموعة ، ان تقربه من الشيوعيين واظهار صداقته لهم كانا ـ في الاصل ـ لاجل التبرؤ من اتهامات سخيفة بانه ذو ميول نازية ، لا لسبب الا لان دراسته العليا كانت في المانيا .

٢٢ ـ شاكر مصطفى : محاضرات عن القصة في سورية ، معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ ، مطبعة الرسالة ، ص ٢٠١ .

٢٣ ـ يروى ان الكتور كامل عياد ذكر في اواخر حياته ان الخلاف بينه وبين ميشيل عفلق لم يكن حول الشيوعية ، بل حول الانصراف الى العمل السياسي ، وروى انه نصح عفلق بالابتعاد عن حماة السياسة ، والانصراف الى الثقافة ، فابى .

٢٤ ـ بيان ذلك ان صلاح الدين البيطار امتنع عن الخروج مع زملائه المدرسين في مظاهرة نظمها طلاب التجهيز ضد (حكومة المديرين) ، التي عينتها السلطات الفرنسية . وتعرض بسبب هذا الموقف الى هجوم شديد من زملائه ، الذين اتهموه بانه يمالىء حكومة المديرين لان عمه حسني البيطار كان عضوا فيها ويتولى منصب مدير المالية ، وكان ميشيل عفلق المدرس الوحيد ، الذي انبرى للدفاع عن صلاح البيطار . ونحن نذكر هذه الرواية بتحفظ .

٢٥ ـ الجندي ، م.ن. ، ص ٢١ .

٢٦ ـ اقدم وثيقة مكتوبة عثرنا عليها (حتى الان) متضمنة الاسم الجديد هي بيان بتوقيع ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار مؤرخ في ١٥ حزيران ١٩٤٢ (انظر نضال البعث ، ج١ ، ط٣ ، ص ٢٤ ـ ٢٥) .

٢٧ ـ مقابلة مع الدكتور شاكر مصطفى في مجلة (شؤون عربية) ، العدد الاول ، اذار / مارس ١٩٨٨ ، ص ٢٥٥ وما يليها . انظر ايضا شاكر مصطفى في « محاضرات عن القصة في سورية » ، م.ن. ، ص ٢٠١ ، الهامش رقم ٢ ، حيث يقول ان عفلق « اسس ، مع زميله الاستاذ صلاح الدين البيطار ، منظمة سرية باسم (شباب الاحياء العربي) اواخر سنة ١٩٣٩ ، والحرب الثانية في مطلعها » . ويلاحظ هنا ان اسم الحركة وزمان تاسيسها مختلفان قليلا . ومن طريف ما يروى بهذه المناسبة حول اسمي « البعث » و « الاحياء » ان الارسوزي كان يردد في احاديثه كلمة (رونسانس) ويترجمها بكلمة « بعث » ، وهي اقرب الى معنى الاحياء (جلال السيد ، م.ن. ، ص ١٩) ، في حين ان الكلمة الايطالية ، التي ترجمت بكلمة « احياء » ، تقابل معنى « البعث » بالضبط وبدقة .

٢٨ ـ باتريك سيل ، الصراع على سورية ، ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة ، دار طلاس بدمشق ، ص ٢٠٢ .

٢٩ ـ الجندي ، م.ن. ، ص ٣١ و ٣٢ و ٣٤ .

٣٠ ـ جريدة (الصباح) الدمشقية ، العدد ٦٥٥ ـ ١٢٠ ، الصادر يوم الثلاثاء في ٢٥ تموز ١٩٤٤ ، ص ١ .

٣١ ـ انظر (في سبيل البعث) ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، تشرين الثاني ١٩٦٣ ، ص ٢١ ـ ٢٣ و ٢٤ ـ ٢٦ .

٣٢ ـ مما اتذكره جيدا ان ميشيل عفلق زار اللاذقية في اوائل العام ١٩٥٦ بمناسبة زيارة وفد حزبي يوغسلافي بدعوة من حزب البعث العربي الاشتراكي . وقد زرناه ـ انا وعدد من الكوادر القيادية في فرع اللاذقية ـ في فندق المسباحة والاصطياف (الكازينو) . وفي اثناء هذا اللقاء سالني عفلق امام الحاضرين عن سبب انقطاعي عن الكتابة في ميدان القصة القصيرة ، بطريقة خيل الي حينذاك انها مهينة . فكان ردي عليه قاسيا اكثر مما يجب، اذ قلت له في جملة ما قلت : « انت ايضا هجرت هذا الميدان وعملت في السياسة ، وكان هذا اكبر خسارة للامة العربية » . وكنت في ردي هذا استوحي كلاما سابقا قيل في تقريظ ميشيل عفلق الاديب والشاعر ـ ولعله للدكتور شاكر مصطفى ـ ولكنني حورته فجعلته حطا من شان ميشيل عفلق السياسي . ولا حاجة بي الى القول ان عفلق غضب لقولي غضبا شديدا ، لكنه كتم غيظه وقتها ، وان كنت اعتقد انه لم يغفر لي ذلك القول ابدا .

٣٣ ـ نصوص هذه المقالات في (في سبيل البعث) ، م.ن. ، ص ٤١ ـ ٤٢ و ٤٥ ـ ٤٦ و ٤٧ ـ ٤٩ .

الوضعية العربية الراهنة في ضوء النتائج الكارثية لحرب الخليج..

الرفيق: فايز عز الدين

● قال الرفيق الامين العام للحزب المناضل حافظ الاسد :

« إن جل همي ان أخاطب الضمائر ، وغايتي ان تتفاعل العقول والعواطف ، وان تسمو الافكار والافعال الى مايحقق المصلحة القومية العليا ، ويفوت على اعداء امتنا فرصة لايمكن ان يحلموا بافضل منها . لاسيما ان هذه الفرصة تاتيهم بفعلنا ، وبقرار منا ، ولذا ينبغي ان نحذفها تماما بفعلنا وبقرار منا ، غير مكرهين ولا خائفين من احد (...) وهذا هو دور العراق الشجاع في هذه اللحظات ، وهكذا لا نسمح لاعداء الامة العربية ان يجنوا اية فائدة عن طريق استغلال هذه الفرصة (...) وان قرارا تتخذونه الآن بنزع فتيل الازمة ، وتجنيب العراق ، والوطن العربي اخطار حرب مدمرة ، سيسجل لكم انه عمل شجاع مناسب في لحظة مناسبة » .

إن اية امكانية لاستدارة العقل والعاطفة عما حدث في الخليج العربي ، لم تعد تمكننا البتة من ان نعزل النتائج الكارثية لما حدث ،

عن راهن الحياة السياسية العربية ومستقبلها كذلك . فالحدث اصبح يمس كل شيء في واقعنا العربي ، وكلنا اليوم ينظر بعين تكتنفها الدهشة ، الى ما آل اليه حال العرب ، وتخصيصا الخليج والعراق ، من دمار ، وقتل ، وتشريد ، وفرقة . وبالتالي فنحن امام حدث ليس كما مر من احداث ، وكارثة ليست كالكوارث التي عرفناها .

خصوصية الحدث الكارثة ، تستلزم من العربي ان يحسن التفسير والتحليل ، والاستنتاج ، وتركيب الموقف من جديد لكي نقول : **إن عبرة الدرس التاريخي قد استحصلنا عليها ، وان اعادة انتاج الحدث في ذهننا اوصلتنا الى ماكنا غافلين عنه ، رغم الراشدة القومية الحكيمة عند سورية بحزبها وقائدها .**

ومن المعروف في سير البشرية ، ان امم الارض تأخذ دروس تاريخها ، وتتجاوز كبواتها ، وتنظر في راهنها على ضوء معطيات حدثها،بل تضع تصوراتها المستقبلية باستشرافية عاقلة . واذا كانت امتنا العربية **ـ كما كان حالها بعد انتهاء الحرب العراقية ـ الايرانية ـ** ستستمر في منطق التجاهل ، وادراج الحدث في دائرة الماضي فقط، فكم سوف نستقبل احداثا اذن ، وعقل الامة في غير تشغيل،وروحها في سبات لايعرف مداه .

ونحن في سورية ، وكمناضلين في **حزب البعث العربي الاشتراكي،** تعلمنا خبراتنا التاريخية كيفيات استلهام الحدث الوطني والقومي ، وطرائق تحديد الموقف الصحيح منه ، بما يجعل الامة العربية بمجموع اقطارها هي الاعلى وهي في الاولى من دائرة النظر والتبصر ، ولذلك فاننا نراجع الحدث ، ونتقرى آثاره السلبية على مجموع حياة الوطن والامة ، ونتصدى لاحتمالاته الخطرة على المصير العربي المشترك ، بل على منطق الشراكة الكاملة في **الامة ، والدم ، والمصير .**

فاذا كان المنطق العلمي الموضوعي لا يمكنه ان يلغي السببية في فهم اية ظاهرة كانت في الحياة او الطبيعة ، او التفكير ، فسنجد ان اسباب **الغزو العراقي للكويت** لاتجد ما يسوغها سوى انها عود الى **جاهلية عربية في جوانبها غير المشرقة .**

★ الغزو والروح الميكافيلية :

لقد عصى الغزو الذي قام به **راس النظام العراقي** للكويت على اي تفسير منطقي ، اخلاقي حقوقي مشروع ، وتمثل في انه سابقة خطرة ومدمرة في العمل العربي المشترك ، بل حدث مجنون مائل الحرب التي شنت على الثورة الاسلامية الايرانية . فالسابقة الكارثية في العلاقات درست ـ قبل تنفيذها ـ بعناية لكي لاتفسح الفرصة أمام العرب ـ الذين صارت ممتلكاتهم المادية ، واشواطهم الحضارية المقطوعة ـ تمكنهم من ان يكونوا اصحاب وزن استراتيجي هام في المنظور الدولي الجديد ، ولا سيما حينما سيقوم عالم الغد على توازن المصالح ، وعلى الكتل الاقتصادية القوية .

ولذلك فلابد للذين يهمهم ان يسير العالم ، ويقف العرب ، وان يتحرر العالم ، ويستعبد العرب ، ويقوى العالم ، ويضعف العرب ، من ان يضعوا الخطط المناسبة للوضعية العربية بما يجب ان تكون عليه تحقيقا لاهدافهم .

وهكذا كان نظام صدام في العراق صالحا **ـ وما زال ـ** لكل عملية تعريب للصراع العربي ـ الصهيوني ولكل عملية **نسف** للموقف العربي المشترك بمنطق التضامن الكفاحي ضد الصهيونية والامبريالية . واسنادهم في ذلك ايضا الى شخصية تحكم العراق وتفتقد العقلانية لدى اية خطة تخطط لها ، او تخططها هي، وقد حان الوقت لكي تنفذ هذه **الشخصية المشهد الثاني من مسلسل تعريب الصراع او استهلاك القدرة الاقتصادية والعسكرية في غير اتجاهها الصحيح** وفي غير المصلحة القومية العليا للامة العربية ، مستهدفين في ذلك ان تبقى **اسرائيل في مامن اكثر** من وجود اية قوة ردع عربية حقيقية تستطيع ان تضع الغطرسة الصهيونية في الزاوية الضيقة ، وتجبرها حالئذ على احقاق الحقوق التاريخية المشروعة للعرب ، واقامة السلام العادل الذي يتفق مع اماني من احتلت ارضهم وشردوا منها ، وعليه فقد اعمت هذه الشخصية المتفردة بغرورها عينيها عن رؤية اي منطق ، او وضع اي اعتبار اخلاقي للشراكة في **الامة الواحدة** والمصير الواحد ، ونفذت غزو الكويت متجاهلة كل ما تم من جهو

عربية مخلصة لتفادي حصول هـذه السـابقة الكارثية في الحيـاة العربية الراهنة .

● فالحدث (**الغزو**) حقق بمجرد وقوعه الهدف الاكبر للذين يهمهم تعريب الصراع ، وادخال الامة في حالة الاحتراب التي تبعثر القوة في قتل الشقيق لشقيقه ، وتبقي العدو آمنا بصورة دائمة ، ومستقبل المنطقة العربية بقبضة يديه بالنتيجة .

● واختيار اللافتة الوحدوية كتغطية لهذا الحدث الكارثي انزل مساقطه الضارة على المضمون الاجتماعي للمسالة القومية باديء ذي بدء ، حيث لم تعد القضية القومية قضية الجماهير الكادحة صاحبة المصلحة الحقيقية في الوحدة . والنضال من اجلها له اطره الاخلاقية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا . بل بالعكس صارت القضية الوحدوية بهذا الاسلوب المزيف ، قضية **غزو وضم والحاق ، وتهجير لسكان القطر الاخر ، واستباحة كاملة للضعيف من قبل القوي .**

وهل هنالك من خطورة على العقيدة الوحدوية للجماهير العربية اكثر من مثل هذا الاسلوب المشبوه ؟

وهكذا فالهدف الثاني من الغزو ـ **وهو ضرب القضية الوحدوية بخطا الاسلوب ـ** قد تحقق ، وقد ضمن راس النظام الحاكم لاعداء الوطن زمنا اطول من تفتيت الكيان القومي العربي ، ومنع اية صيغة من صيغ تجميع القـوة العربية واستخدامها في القضايا القوميـة العادلة للعرب .

● وفي تحليلنا لمظهر الحدث او لجوهره وملاحقه واحتمالاته ، سنجد انه جاء ضمن مخطط محكم من اجل ادخال منطقة الخليج العربي في توتر حاد لايبقى بمستوى القـدرة العربية على الحل ، ويتعدى في تهديده مصالح الاطراف في المنطقة ، ليعطي الحجة للمهددة مصالحهم في ان ياخذوا المبرر الذي يسمح لهم في العمل والتصرف وفق اهدافهم ورسمهم لمخططاتهم الجيوستراتيجية .

ومن هنا كان قول **الرفيق الامين العام للحزب المناضل حافظ الاسد** في رسالته التاريخية الى راس النظام العراقي في ١٢ ـ ١ ـ ١٩٩١ حكيما ومحذراً من مغبة التصرف فيما اذا كان الوجـدان العربي

والضمير هو الذي يحكم الموقف لدى حكام العراق او حاكمه بالتعبير الادق ، حيث قال :

« وهكذا لانسمح لاعداء الامة العربية ان يجنوا اية فائدة عن طريق استغلال هذه الفرصة » ثم ان اعداء الامة العربية هم الذين سيجنون الفرصة من تدمير القدرة المادية والعسكرية للعراق بحيث يخرج هذا القطر من حسابات القوة العربية اقتصاديا وعسكريا .

● واذا تتبعنا الخط التكتيكي للقرار السياسي في غزو العراق للكويت الذي بدا بزعم ان انقلابا جرى في الكويت ، وان حكومـة الكويت الحرة المؤقتة هي التي طلبت المساعدة من العراق . وحين لم تثبت مصداقية هذا انزلت الى القرار دعوى الحق التاريخي في الكويت وان الامر تصحيح للتاريخ بعودة الفرع الى الاصل ، وحين بدا ان تصحيح التاريـخ سيكون بتخريب الجغرافيـة الطبيعيـة والبشرية ، الحقت دعـوة الوحدة على حيثيات القرار السـياسي المرتبك ، ثم حين بدا ان الوحدة ليست بهذا الاسلوب الميكافلي المرفوض سياسيا واخلاقيا ، اقحمت في القرار ذريعة الفقراء وحقهم في اموال الاغنياء ، ولما بدا ان **صدام يملك اكثر من /١١/ مليار دولارا** وان فقراء العراق لم ينالوا من خيرات العراق ، فكيف صارت تحق لهم خيرات الاقطار الاخرى ؟ الحقت في ملاحق القرار السياسي اليائس حكاية ربط قضية الكويت ، بالقضية الفلسطينية ، وانه دخل الكويت (**اي صدام**) من اجل تحرير فلسطين .

ومن اجل المزيد من التضليل ، والتزييف ، والتشويه بذل نظام العراق الفاشي كل جهوده حتى يظهر غزوه المدان للكويت بمظهر معركة المؤمنين ضد الكفار ، او معركة العرب والمسلمين ، والمستضعفين في الارض ضد القوى الكافرة .

فاذا تتبعنا الخط التكتيكي المفتقد للمصداقية ، ولاخلاقيـة القرار القومي الصحيح ، لوجدنا ان التسويق السياسي للقرار في الغزو كان غير مقنع **عربيـا ، ودوليا ،** وان حالة خلط الاوراق كانت بارزة ولا تنطلي على كل ذي وجدان حي وضمير عربي صاح . وهذه الحالة العاجزة من خلط الاوراق هي التي تعتبر النجاح الاكيـد

لاعداء الامة في اقناع العالم باستخدام القوة ضد العراق ، والعجب هنا انه بقي هنالك عرب لم يقدروا هذه الخطورة حتى الآن ، وما فتئوا يكابرون في تأييدهم لنظام العراق بدعاوى يائسة تفتقد اخلاقية الحس القومي السليم . فكل العناوين السياسية التي قدمها راس نظام العراق لم تحمل معها اية صيغة اخلاقية لمنطق تعامل العربي مع العربي ولاسيما حين يكون الاثنان معرضين مع جماع الامة الى خطر مصيري يتهدد الوجود القومي برمته .

● فالغزو لم يراع اي ميثاق من مواثيق العمل العربي المشترك، بل عطل دور مؤسسات العمل العربي بغطرسة يعز مثيلها . كما استهان بدور مؤسسات العمل الاسلامي ، ولم يحترم اية ارادة لها، على الرغم من تصوير معركته الوهمية بانها معركة المسلمين ضد القوى الكافرة . واستهتر حاكم العراق كذلك بمؤسسات عمل دول عدم الانحياز فلم يستجب لاية رغبة لها او قرار . ثم غلا في استكباره ليخرج على ارادة المجتمع الدولي وقرارات مجلس الامن ويدعو الى **المنازلة الكبرى على ارض الكويت** والى ما اسماها بأم المعارك .

كل ذلك كان يحمل معه الكارثة ولو فسر بالاحتمالين : **ان يكون** صدام مجبرا على تنفيذ المخطط المرسوم من قبل اعداء الامة العربية، او ان يكون هو الذي يرسم وينفذ وتأتي النتائج في مصلحة هؤلاء .

● وعليه فقد صار العراق ـ وفق هذا الاستخدام غير المشروع لمنطق القوة في التعامل الاقليمي والدولي ـ بلدا او دولة تهدد الامن الاقليمي والدولي بدلا من اسرائيل كما كان يعرف لدى العالم من قبل . ثم صار العراق ـ **بنظامه المتغطرس** ـ البلد الذي يتحدى ارادة العالم المتجهة نحو نظام دولي جديد يقوم على رفض سياسة القوة واستخدام منطق التقاطب في العلاقات الدولية ، او في حل المنازعات الدولية .

وفي حسابات النتائج نجد ان الغزو قد حقق الهدف الثالث لاعداء الامة ، وهو اظهار الطبيعة العدوانية عند العرب فيما اذا اصبحوا يمتلكون القوة المطلوبة . وفي هذا ما فيه من مساعدة لعام

الاجتماع الصهيوني الذي يركز في الذهنية الدولية على الطبيعة العدوانية للعرب حتى تظهر اسرائيل بمظهر المسالم المتحضر ، الذي يحتاج الى حماية من محيطه باستمرار ، **وهنا قدم الغزو كافة مبررات الاحتلال الاجنبي لارض الخليج ومياهه بتغطية قانونية دولية ، وميزانية عربية .**

والهدف الرابع الذي تحقق لاعداء الامة هو هذه الحالة من انقسام الصف العربي ، ومن خيبة الامل عند الذين جروا وراء صدام بدون اعمال العقل والقلب ، ولا يزالون في غيهم يعمهون .

★ **ما الذي من اجلك يافلسطين ؟ :**

في آخر التعبيرات التكتيكية اليائسة للغزو طرحت قضية دخول الكويت من اجل فلسطين ، وكان العرب والعالم قد سمعوا قبلا من صدام ، انه يحارب الثورة الايرانية من اجل فلسطين . وفلسطين التي هي في راس سلم اولويات النظام الحاكم في العراق لم تشهد اضرارا من احد اكثر من الاضرار الذي لحقها منه :

اولا : بحرمان منظمة التحرير الفلسطينية من استراتيجية عمل قومي صحيح تحشد جهود الامة العربية بكاملها في عملية الكفاح ضد العدو الغاصب .

ثانيا : بتقديم الخدمات المجانية للكيان الصهيوني . وتفويتها باكثر مما تحلم فيه . ففي الجانب الاول استطاع صدام ان يجعل **منظمة التحرير الفلسطينية** طرفا في الصراع الدائر بين العراق والكويت ، وان يخرج ـ في هذا التصرف ـ منظمة التحرير من منطق عملها الصحيح لتخسر الصف العربي الموحد الداعم لها اولا ، ثم لتخلق لنفسها مشكلات هي بغنى عنها ثانيا .

وعلى الجانب الآخر جعل صدام منظمة التحرير الفلسطينية في الجهة المعاكسة للاجماع الدولي في قضية الحق الكويتي ، وفي هذا افدح الضرر على المنظمة التي هي دوما احوج ماتكون لتعزيز الاجماع الدولي معها من اجل الحق الفلسطيني . فاذا كان تشريد العرب الكويتيين جائزا في عرف منظمة التحرير ، ولو كان من قبل الشقيق

العربي الاقوى ، فكيف لايجوز للصهاينة أن يمارسوا ذلك على **العرب الفلسطينيين وهم ليسوا الاشقاء ؟!**

والخدمات الجلى التي اسداها الغزو الصدامي للكويت ، الى الدولة الصهيونية « اسرائيل » هي :

اولا : من حيث الطبيعة العدوانية لغزو الكويت ، وجدت اسرائيل تغطية لعدوانها على الارض العربية واحتلالها وتهويدها .

ثانيا : من خلال استخدام منطق القوة الذي قام به العراق على الكويت فاحتل ارضها وفرض سياسة الامر الواقع ، وجدت اسرائيل تغطية لفعلتها المماثلة على الارض العربية .

ثالثا : مر خلال اجازة العراق لضم الكويت بالقوة ، وتهجير السكان ، وتغيير البيئة الديمغرافية للارض ، وجدت اسرائيل ما تدعيه في ذلك .

رابعا : من خلال تغيير الحدود الاقليمية بدون اي مراعاة لمواثيق العمل الدولي بعد الحرب العالمية الثانية ، وازالة دولة من خارطة العالم المعاصر ، وجدت اسرائيل فرصتها الثمينة في ان تجبر العالم على تأيدها وفق سياسة النظير .

خامسا : من خلال ضغط النظام العراقي على العرب والعالم من اجل السماح له في ان تكون الكويت المحافظة رقم /١٩/ واصراره على وجوب مكافاته على عدوانه بترك الكويت له ، لاقت اسرائيل المسوغ الكامل من اجل مكافاة المعتدي على عدوانه .

سادسا : من خلال اصرار العراق على استخدام نظرية الحق التاريخي في الكويت ، قدم لاسرائيل ما لم تكن تحلم به ليكون مدعما لما تدعيه كذلك وتصر عليه .

سابعا : من خلال لعبة الصواريخ الاعلامية التي اطلقها على اسرائيل افادت اسرائيل بما يلي : اظهرتها بمظهر المعتدى عليه والمهدد بالخطر ، بعد ان كانت هي المعتدية ، والمهددة لامن العرب – اعطتها الفرصة لكي تظهر بمظهر المحتاج الى المساندة والمساعدة لتامين متطلبات امن السكان لديها وتطوير قدراتها العسكرية

ولا سيما بنظام صواريخ باتريوت المضاد للصواريخ – منحت اسرائيل الفرصة لان تظهر امام العالم بأنها مستجيبة للارادة الدولية الراغبة منها عدم الرد على العراق وتوسيع رقعة الحرب – هيات لاسرائيل الظروف من اجل استقدام المزيد من المهاجرين اليهود وتوطينهم في الارض العربية . واخيرا قدمت لاسرائيل ماتراه مناسبا لقمع الانتفاضة بوحشية .

فاذا كانت سياسة النظام العراقي قد قدمت لاسرائيل كل هذا الذي قدمته ، فماذا كان اذن من اجل فلسطين ؟ !! واذا كانت فلسطين هي القضية المركزية للعرب ، ولا يجوز ان ينشغل عنها احد من العرب باية قضايا جانبية ، فماذا نقول لنظام العراق حتى نجد له العذر فيما غرق به من قضايا لا مبرر لها ، وادار الظهر بديماغوجيا لانظير لها للقضية الاصل ؟.

وهنا قد تحقق لأعداء الامة العربية الهدف الخامس وهو فقدان التوافق على الطرق السليمة . والوسائل النبيلة **لخدمة القضية المركزية للعرب** ، بل لعل بعض العرب لم تعد القضية الفلسطينية تدرج في أولويات اهتماماته ، ولو ادعى ذلك في سياسته المظهرية .

والهدف السادس الذي تحقق للاعداء هو الهدف الاقتصادي ، حيث خسر العراق والكويت بترولهما منذ ٢/آب/١٩٩٠ . وحرم الدخل القومي العربي من هذه الثروة ، اضافة الى حالة التدمير التي لحقت بالعراق والكويت ، ودول الخليج الاخرى والتي ستحتاج عملية اعادة الاعمار فيها الى اكثر من / ٤٠٠ / **مليار دولار** ستنتفع منها بالتاكيد الشركات الاجنبية ولن يلحق الشركات العربية الا النذر القليل .

اضافة الى ذلك سوف يرتهن العراق – **بكامل دخله الوطني –** لاكثر من عشر سنوات حتى يستطيع التعويض عن الاضرار التي لحقت بالدول المعنية بازمة الخليج ، فماذا جنى العراق من ثمار هذه الغزوة الكارثية سوى **الهزيمة ، والدمار ، وضياع الحضارة ؟ !!**

والهدف السابع الذي تحقق لاعداء الامة العربية هو الهدف الاجتماعي ، اذ كيف سيكون المواطن العربي في الكويت قادراً على ردم مشاعر الاسى التي تلقاها من الشقيق العربي المجبر على التعرف او المغرر به ؟ !!

ثم كيف سيستعيد حماسه هذا المواطن المعني ليبقى العربي المناضل من اجل القضية المركزية فلسطين في حين وجد ان من هم على **راس منظمة التحرير** تركوا قضيتهم لينشغلوا في نصرة العراق على الكويت ؟.

واذا كان سيكون للعرب الفقراء الحق في الثروة البترولية الخليجية وان بترول العرب يجب ان يخدم قضايا العرب ، فكيف يمنع فقراء العراق من حقهم في بترول العراق اولا ؟ لقد نجح صدام في الاساءة لقضية الحق التاريخي للكادحين العرب في مجمل الثروة العربية .

والهدف **الثامن** الذي تحقق لاعداء الامة العربية هو ان حاضر العرب بعد انتهاء الحرب الكارثية ، لم يعد يستطيع ان يخاطب زمان ماقبل ٢/آب/١٩٩٠ الا بصور وتصورات جديدة فرضتها النتائج المدمرة للسلوك المغامر العميل ، ولذا فقد اصبح الحمل القومي على سورية اثقل من ذي قبل . وتحتاج قيادة الموقف القومي للمزيد من الصبر وبذل الجهود ، واعادة التشكيل وهذا ما بادر **القائد المناضل حافظ الاسد للقيام به منذ ٦/ آذار ١٩٩١ وتمثل باعلان دمشق بين الدول العربية الثمان** الذي اريد له ان يكون خطوة متينة من اجل نظام عربي جديد يحقق التعاون ، والتنسيق الشامل ، مستندا الى ميثاق الجامعة العربية ، ومعاهدة الدفاع العربي المشترك . وأن يستطيع ارساء نظام امني عربي شامل يربط امن الخليج بالامن العربي.

ولم يكن هذا الاعلان **عملا محوريا** ، بل كان نواة صالحة لتضم العرب بمجموع اقطارهم ، وترك المجال مفتوحا للدول الاسلامية كذلك .

فالاعلان التاريخي – اذن – هو تصرف حكمة سياسية ، عرفت بها القيادة التاريخية السورية ، من اجل الرد على سياسة فراغ القوة التي تحاول الدولة الصهيونية ان تفرضها على العرب . ولذلك فقد اكد الاعلان على انه يمثل خطوة لبناء **استراتيجية عربية للامن القومي** على اسس ثابتة وتسد فراغ القوة التي مافتئت اسرائيل تعمل من اجل استبقائه بكل مالديها من تآمر ودعم وعدوان .

واذا كان غزو العراق للكويت قد سمح لاعداء الامة العربية بأن يحققوا جملة من الاهداف التي طالما حلموا بتحقيقها ، فان الوضعية العربية الراهنة تتشكل اذن مما لم يكن اشد على الامة العربية منذ نصف قرن من الزمان أو يزيد . والمطلوب عربيا ان يعمل العقل العربي بواقعية سياسية مستندة للمبادىء القومية ، حتى يتم لنا نحن العرب ، كسب المعركة السياسية الدائرة الآن . حتى تخرج الدول الغربية وعلى راسها امريكا من الاختبار للمصداقية السياسية في التعامل مع كافة القضايا الدولية بنفس المعيار من الحق المشروع، بما يصل بنا الى السلام العادل القائم على انهاء الاحتلال واقامة الكيان الوطني على الارض التي طالت عملية اغتصابها .

والى ان يكون لنا ذلك ستبقى **جهود الرفيق الامين العام للحزب المناضل حافظ الاسد هي الامل المثمر في كل يوم بنصر جديد .**

المعادلة الصعبة بين : الاقتصاد والسياسة والحزب والسلطة

الرفيق : د. ناصر عبيد الناصر

يسجل **لثورة البعث المتجددة** . قدرتها على الامساك بذلك الخيط الرفيع الذي يفصل عالم السياسة عن عالم الاقتصاد . فحققت بنهجها العلمي الثوري اللحمة بينهما . بما يسهم في خدمة القضايا الوطنية والقومية . ومما يسجل لها ايضا انها حافظت على خصوصية الحزب ، وعلى خصوصية السلطة . في اطار قيادة الحزب للثورة والدولة .

وعلى عجالة نقول ، علينا ان لا نتصور ان هناك ستارا حديديا يفصل بين السياسة والاقتصاد ، فكل منهما يؤثر ويتاثر بالاخر ، ولا يوجد جدار يعزل الحزب عن سلطته الرسمية . فالسلطة في المحصلة هي **سلطة الحزب** .

الوحدة العضوية بين السياسة والاقتصاد :

يمثل الاقتصاد المرتكز الرئيسي للسياسة ، فهو الذي يحدد مسارها واتجاهاتها ، بيد ان السياسة ليست سلبية ، وليس دورها

ثانوي بالنسبة للاقتصاد . فالمدخل السياسي الصائب ، هو مفتاح الحزب في احداث التحولات الاقتصادية والاجتماعية . والنهج السياسي السليم وراء كل ازدهار اقتصادي ، والممارسة الخاطئة للسياسة هي الاخرى تدمر السياسة الاقتصادية وتفشلها .

فالسياسة لا يقتصر دورها على عكس الملامح الاقتصادية القائمة فحسب ، بل يتخطاه لتمارس تأثيرا فاعلا على مسار التنمية الاقتصادية وتغني مضامينها .

ان التجربة التاريخية والنضالية للاحزاب الثورية ، تظهر لنا ، بأن الفصل بين ما هو سياسي وبين ما هو اقتصادي ، يوقع القوى الثورية في اخطاء فادحة وممارسات خاطئة ، كرفع الشعارات المتطرفة ، وتبني الاهداف الخيالية ، التي يتعذر تجسيدها على ارض الواقع ، ومثل هذه النزعة تربك العملية الثورية برمتها بل تدمر السياسة الاقتصادية . وقد مر حزبنا بتجربة قصيرة عانى فيها من مثل هذه السياسة قبل **الحركة التصحيحية** . لكن هذه المرحلة من حياة الحزب لم تدم طويلا ، فسرعان ما وضع لها حدا **قائد التصحيح المفكر حافظ الاسد** الذي اعلن منذ البدء تمسكه بالثوابت الاقتصادية والسياسية والتعامل بمرونة وبواقعية مع متغيراتها . .

لقد قومت الحركة التصحيحية الاعوجاج الذي اعترى مسار الثورة ، ووضعت حدا لهذا الاتجاه الخاطىء ، حيث تبنت سياسة جديدة اصبحت فيها قضية التنمية والتحرير هي السياسة الرئيسة للثورة والدولة ، وبذلك اخذت تعبر اصدق تعبير عن تطلعات الجماهير وطموحاتها في بناء **مجتمع التقدم والاشتراكية** . والاكثر من ذلك ان الجماهير ممثلة بمؤسساتها ، اضحت هي التي تصنع القرار السياسي والاقتصادي فوجدت ارادة الجماهير وقوتها الخلاقة تعبيرا لها في تحديد مسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية لقطرنا .

وبهذا اضحت **المسالة الاقتصادية** في ظل ثورة الحزب السياسية

الاهم التي تشترك في ممارستها الجماهير الكادحة ممثلة بمنظماتها الشعبية وجبهتها الوطنية التقدمية بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي . وسياسة الاقتصاد في قطرنا موجهة نحو تعميق **التحولات الاشتراكية** وتطويرها ، وهي ليست محصورة برجال السياسة او « التكنوقراط » . بل تسهم في صياغتها وتنفيذها المؤسسات الرسمية والشعبية كافة . وتتجلى بوضوح بصمات الحزب ، من خلال نهج سياسة اقتصادية واضحة الملامح ومحددة الاهداف .

فالسياسة الاقتصادية الهادفة والعلمية هي تلك التي ترصد الواقع وتستطلع آفاق المستقبل وتسترشد بالقوانين الاقتصادية . دون ان تخل بآليتها . وتفترض سياسة الاقتصاد في ظروف الاشتراكية ، وجود الاستراتيجية الاقتصادية التي تحدد الاتجاهات الرئيسية لتنمية المجتمع وبالتالي تسهم في انجاز الهدف الكبير ، وهو بناء **المجتمع العربي الاشتراكي الموحد** عبر تبني التعددية الاقتصادية ، وفي اطار التمسك في الدور القيادي للقطاع العام . وبتعميق التحولات الاقتصادية والاجتماعية ، وبتطوير البنية الاقتصادية وتنويعها ، يمكن للاقتصاد ان يؤدي الدور المناط به في التاثير على البناء الفوقي ، بمضامينه **السياسية والعقائدية والحقوقية والاخلاقية** . الامر الذي يعني بالضرورة بأن سائر مناحي الحياة تتحدد بالشروط الاقتصادية ، وهذا لا ينتقص من دور السياسة ومهمتها في تجسيد المصالح الاقتصادية للطبقات والشرائح الاجتماعية وفي تعبيرها عن الجوانب المادية للعلاقات الاقتصادية السائدة في المجتمع .

فالتفاعل والتكامل بين ما هو اقتصادي وسياسي ، هو الذي يكرس بين اعضاء الحزب **الاخلاق الثورية والقدوة الحسنة ، ووضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار شخصي** ، فحيثما يكون الرفيق البعثي يجب ان يكون اول من يعطي لوطنه وامته وآخر من ياخذ ، فمهمة القادة من الاقتصاديين ليست مجردة ومحصورة باداء المهام

التنظيمية والادارية ، ولا تقتصر على القيام بمهام ادارية صرفة فحسب ، بل تتخطاه ليؤدي دور المربي السياسي للعاملين ، وان يغرس فيهم قيمة احترام العمل والنظرة اليه كحاجة حيوية ، وان ينبذوا من بين اوساطهم الروح الفردية واللا مبالاة مستخدمين في ذلك سائر اشكال واساليب التاثير الفكري والايديولوجي والسياسي لحفز جماهير المنتجين وحثهم على زيادة الانتاج كماً ونوعاً ، وهو مؤشر اساس لنجاح السياسة الاقتصادية . فوحدة السياسة والاقتصاد تفترض وبالضرورة ارتباط الادارة بالنشاط السياسي للحزب .

فالسياسة الاقتصادية بوصفها نسيج من المهام الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية تفترض بدورها الصراحة والوضوح الثوري . فاخفاء النواقص والعيوب والثغرات والمصاعب والمعوقات التي تعترض مسار التنمية الاقتصادية يخلق حالة من الشك والوهم في اوساط الناس ، ويصيبهم الاحباط ، ويكونوا عرضة للنهب الاعلامي . ولهذا ادرك **القائد الاسد** برؤيته الثورية وبحسه الجماهيري ضرورة المصارحة والمكاشفة والمحاسبة ، وحذر في اكثر من مناسبة من مغبة التستر على العيوب والنواقص وتبرير الاخطاء ، والسبيل للحد من مظاهر التسيب واللا مبالاة في الممارسة اليومية ، فضلا عن المحاسبة ، هو النضج السياسي الذي يحصن الجماهير من ضيق الافق والمحدودية ، فسعة الافق المعرفي والممارسة النضالية الصائبة يحولان دون الانحراف عن الاهداف الاقتصادية المنشودة ، ويساعدان في تمييز التناقضات الرئيسة عن الثانوية .

لقد قدمت لنا **ثورة البعث** المتجددة نموذجا حيا من التواصل بين السياسة والاقتصاد والترابط فيما بينها في وحدة لا تنفصم عراها . فالنشاط السياسي والاقتصادي الذي انجزه حزبنا في سياق تجربته لقيادة الثورة والدولة ، انطوى على مضامين غنيه تجلت بـ :

١ ـ نشوء علاقات سياسية بين مختلف طبقات وشرائح المجتمع، توضعت مرتكزاتها في سياق العملية التاريخية ، واحدثت **انقلابا نوعيا** في البنيتين الفوقية والتحتية وفي اطار الممارسة الصائبة للسياسة والاقتصاد .

٢ ـ تمثل السياسة شكلا من اشكال الوعي الاجتماعي الذي تندرج في اطاره مجموعة الاراء والافكار والمعتقدات التي اعتنقها ابناء المجتمع ، والتي وظفت بهذا القدر او ذاك في خدمة القضايا الوطنية والقومية ..

٣ ـ بتأثير القيم المادية والروحية التي وفرها الحامل الاجتماعي، والتي تجسدت في مبادىء البعث ، لعبت السياسة دورا مؤثرا في مسار التنمية الاقتصادية ، واسهمت في تعميق التحولات الاقتصادية والاجتماعية .

واذا ما استعرضنا بعض ما جاء في **المنطلقات النظرية** بخصوص سياسة الاقتصاد ، نجد انها سلطت الضوء على الجانب الاقتصادي ولم تهمل العامل السياسي ودوره في المجتمع ، واكبر دليل على ذلك حين عمدت الى تحديد طبيعة السلطة السياسية ، واوضحت طبيعة العلاقة بين الحزب والسلطة .

صيغة العلاقة بين الحزب والسلطة :

استحوذت صيغة العلاقة بين الحزب والسلطة على اهتمام ادبيات حزب البعث العربي الاشتراكي ، التي حددت وبوضوح ماهية ومرامي الدور الذي يفترض ان يؤديه في قيادة الدولة والمجتمع . دون أن تغفل الهامش الذي يجب ان تتحرك في اطاره السلطة التنفيذية .

لقد حددت بعض المنطلقات النظرية طبيعة السلطة السياسية وموقعها ودورها في منظومة الادارة الاجتماعية بـ :

آ ـ السلطة التي تبني الاشتراكية هي السلطة الممثلة للعمال

والفلاحين والمثقفين الثوريين والعسكريين العقائديين . اي سلطة الجماهير الكادحة ممثلة بحزبها الثوري .

ب ـ عزل القوى المعادية للثورة ، وهذا العزل يجب ان يأخذ شكله القانوني ضمن القوانين الاشتراكية .

ج ـ تخطي البرلمانية التقليدية الى الديمقراطية الشعبية ، من خلال تعبئة الجماهير وتأطيرها في منظمات شعبية . وبدمج قطاعات الشعب كافة دمجا عضويا ، يتحقق التفاعل الايديولوجي والفكري والسياسي ، الذي يصهر المجتمع في جبهة واحدة ، توجه قدراتها لانجاز اهداف الثورة .

والحزب هو القوة المنظمة والمربية والموجهة والقائدة لمجتمع التقدم والاشتراكية ، وقد احتل حزبنا هذه المكانة المتقدمة ، بفضل اهدافه المبدئية وقيمه النضالية ، وسياسته الحكيمة التي التف حولها الجماهير ، كونها تعبر عن تطلعاتها وطموحاتها في الوحدة والحرية والاشتراكية . وبهذا الصدد اكد القائد المعلم حافظ الاسد الدور الطليعي للحزب بقوله : « الحزب بتنظيمه أداة الجماهير في توضيح اهدافها ، وبلورة هذه الاهداف ، وبرمجة جهودها واعمالها ، وقيادة نضالها ، ومجمل ممارستها الكفاحية الوطنية والقومية ، ويمكنها من ان تحقق في كل هذه الامور المردود الاقصى »(1) ..

وقد برزت اهمية قيادة الحزب للثورة والدولة ، بعد انتزاع السلطة السياسية من جانب الجماهير الكادحة ممثلة بحزبها الثوري في الثامن من اذار عام ١٩٦٣ . وقيادة الحزب للدولة والمجتمع بوصفها مجموعة من الاجراءات والتدابير والوسائل الاقتصادية والسياسية التي يختطها الحزب ، مسخرة لتنظيم وضبط سلطة الدولة . والحزب لا ينسق العمل الاقتصادي والسياسي للدولة

١ ـ مختارات من اقوال الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب، منشورات مكتب الاعداد الحزبي القطري .

فحسب ، بل يقود جهاز الدولة ويوجه نشاطها طبقا للمهـــام والاهداف المرحلية والاستراتيجية ، ولا يقتصر دور الحزب على وضع استراتيجية وتكتيك التنمية الاقتصادية فحسب ، وانما يتخطاه ليشمل الممارسة النضالية لقيادة الثورة والدولة ، عبر استنفار قواعد الحزب وجماهيره ، فيتصدر قيادتها من اجل الهامها وتنظيمها وتعبئتها وتجنيد قدراتها باتجاه انجاز الاهداف المنشودة على امتداد الساحة العربية .

وحزبنا بوصفه الشكل الاعلى لتنظيم الجماهير ، مطالب بتوجيه نشاط المنشآت والمؤسسات التابعة للدولة ، مع مراعاة خصوصيتها وعدم الانتقاص من استقلاليتها وسيادتها ، ويفترض الا يحل محلها، والا يطمح لذلك . فقد جاء في المسالة التنظيمية : « لابد من التفريق بين السلطة والحزب ، قبل كل شيء ، لا بد من تقرير ان الحزب شيء والسلطة شيء آخر ، غير ان هذا في الوقت نفسه لايعني انهما نقيضان . **ان انجاز بناء المجتمع الجديد هو غاية الحزب ، والسلطة هي الوسيلة بيد الحزب والجماهير لبناء هذا المجتمع الجديد ...** ان السلطة في نظام الاستغلال هي اداة قمع بيد الطبقة المالكة لوسائل الانتاج ، في حين ان السلطة الثورية هي اداة بيد الجماهير لاسقاط الاستغلال نهائيا واقامة علاقات اشتراكية جديدة »(١) .

لقد استبعد حزبنا الازدواجية في العمل وحلول مؤسسات الحزب محل هيئات الدولة ، وحذر من التدخل بتفاصيل وجزئيات عملها اليومي ، فلا يجوز الخلط بين مهام مؤسسات الحزب ووظائف اجهزة الدولة ، ومثل هذا الخلط يحصل احيانا على صعيد الممارسة وتترتب عليه نتائج سلبية .

ان الحزب الثوري حين يقود الدولة والمجتمع ويخط سياستها، لا يحل محل السلطة في عملها اليومي ، ويحرص على الاحتفاظ بدوره كموجه وقائد للمجتمع ، ويحرص على توفير سائر الظروف لـكي

١ ــ المسالة التنظيمية ص ٢٧ .

تؤدي السلطة وظائفها الاقتصادية والتنظيمية والادارية . فالحزب عبر مؤسساته يقوم بوضع الافـــكار والاراء وصياغة الاهداف الاقتصادية ، ويتابع بالطرق المعهودة مدى تقيد السلطة بتوجيهاته وفي كل الاحوال في المحصلة السلطة هي سلطة الحزب ، فكل ما تحققه من نجاحات وعلى جميع الصعد الاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية والتعليمية والاعلامية .. الخ ، ينعكس ايجابا على مسيرة الحزب ، وبالعكس كلما كان البناء الحزبي متراصا صلبا، وكلما ساد الانضباط صفوف الحزب ، وتقيد اعضاؤه بتوجيهاته كلما اكسب السلطة مناعة وقوة .

وهيئات الدولة ومؤسساتها ملزمة بتنفيذ قرارات وتوجيهات الحزب الذي يقود نشاطها ولا يحل محلها ، فالمؤسسات الحزبية المتسلسلة ، يفترض ان تمنح الثقة وتوفر الاستقلالية للمنظمات الشعبية والنقابات المهنية والادارة المحلية ، ليتسنى لها ممارسة صلاحياتها كاملة ، ولا يجوز ان تقحم نفسها في اداء وظائف السلطة وشلها . وهذا ما اكدت عليه المسالة التنظيمية : « **ان دور الحزب القائد هو دور المرشد السياسي للسلطة . وهنا يعني ان استيلاء الحزب على السلطة يجب ان لا يؤدي الى ذوبانه فيها ، فالسلطة اداة تنفيذ ، والحزب اداة اشراف وتوجيه للسلطة ، وصلة وصل بينها وبين الجماهير** »(١) .

فالطليعة الثورية بوصفها اداة الجماهير في احداث تبدلات بنيوية في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، وحتى تتمكن من تحقيق هذا التحول النوعي في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، لا بد من ان تعتمد على سلطتها التنفيذية ، وحتى تقوى على انجاز مثل هذه المهام وغيرها اكدت بعض المنطلقات النظرية على ضرورة تطوير سلطة الدولة :

.. في ظروف حكم طبقي معين لا 'ن يكون الجهاز الاداري

١ ــ المسالة التنظيمية ص ٢٩ .

للسلطة ، صورة لهذا الحكم واداة من ادواته . لهذا فان الحزب في الظروف التي يمسك فيها بزمام السلطة مطالب بتطوير اجهزة الدولة بحيث تصبح هذه الاجهزة في **خدمة الجماهير الشعبية لاعبئا عليها** ، وتصبح قادرة على المساهمة الفعالة في قضايا البناء الاشتراكي »(٢) .

وحتى لا تقع سلطة الحزب في اسر **البيروقراطية** ، وتعجز عن تنفيذ المهام الناظمة بها والاهداف المعلقة عليها ، لا بد من تفعيل دور الرقابة الشعبية والرسمية ، ومثل هذه الرقابة ستبث الحيوية في عقلية هذه الاجهزة واسلوبها وطريقة عملها، وستحضها ، وتجنبها الفوضى واللا مبالاة والجمود البيروقراطي .

على صعيد الممارسة :

في سياق التطبيق العملي يحصل تشابك وتداخل بين النشاط الايديولوجي والسياسي والتنظيمي للحزب وبين عمل ونشاط اجهزة الدولة ، بمعنى تداخل مهام الحزب مع وظائف السلطة في ظل التنظيم المعقد لقيادة الدولة والمجتمع ، مما يتطلب من المؤسسات الحزبية اخذ العوامل السياسية والاقتصادية في الحسبان وتفهم مضامينها بمزيد من العمق ، بحيث تقوى على التمييز بين صلاحياتها وصلاحيات السلطة .

وعلى صعيد الممارسة اليومية ، يصعب احيانا تحديد من اين تبدا واين تنتهي عمل اجهزة الدولة ومتى وكيف تتدخل هيئات الحزب . فالحزب كطليعة ثورية وبحكم موقعه السياسي يضطر لان يقود احيانا وبصورة مباشرة بعض الانشطة او بعض اجهزة الدولة ، ومن هذا المنطلق ينبغي التمييز بين وظائف الدولة ومهام الحزب ، في ضوء طبيعة العمل وحجمه ومضامينه ومراميه .

كذلك يفترض تحديد حقوق وواجبات المؤسسات الحزبية ،

٢ ـ بعض المنطلقات النظرية ص ٥٩ .

فيما يتعلق بدورها في توجيه اجهزة السلطة . وان تعطي المرونة الكافية لسلطة الحزب لممارسة صلاحياتها كاملة غير منقوصة في جو من الثقة والاحترام والشعور بالمصلحة المشتركة ، وحتى لا تختلط الاوراق وتحصل ازدواجية في ممارسة الصلاحيات ، عمدت **مؤتمرات الحزب الدورية ، والمكاتب القطرية المتخصصة** على اصدار تعليمات محددة وملزمة للجهات الاولى ، تتضح من خلالها آلية التعامل بين الحزب والسلطة وعلى المستويات كافة .

ومن حيث المبدا تقتصر قيادة الحزب للسلطة على القضايا الاساسية المتعلقة بالالية القانونية لعمل الدولة ، وتنصب ايضا على المسائل الاقتصادية الجذرية ، وعلى الامور التاريخية التي لها دلالات سياسية .

ان المؤسسات الحزبية معنية بحل كافة الوقائع والقضايا من الوجهة السياسية دون ان تأخذ على عاتقها امر حل المسائل التي تتطلب المعارف الفنية والخبرة التقنية والتي هي من صلاحية هيئات الدولة . وقد حذر الحزب من مغبة ان يتحول الحزبيون من ثوريين ممثلين لمصالح الجماهير الى بيروقراطيين ، اي الى موظفين موضوعين فوق الجماهير يمارسون الوصاية عليها ، ومعرضين لجميع مغريات السلطة(١) .

وبالطبع هذا يعني الا يغرق الحزب في جزئيات وتفاصيل عمل السلطة اليومي ويشل قدرتها على الحركة ، والحزب من خلال كوادره التي تتصدر الادارات والمؤسسات الرسمية ، ينفذ سياسته الاقتصادية والاجتماعية .. ان وجود الحزبيين في مواقع قيادية في السلطة وفي الاجهزة الادارية ، يعني انهم في مواقع مسؤولية خطيرة وليسوا في مواقع امتياز خاصة .. ومطلوب منهم ان يتفانوا في تنفيذ توجيهات الحزب ويسهرون على حسن انجازها بشكل صائب .

١ ـ المسألة التنظيمية .

وما يميز قيادة الحزب عن ادارة الدولة ، انها تتحقق بموجب قرارات وتوصيات معللة علميا ، ذات صفة آمرة وملزمة ، وتتناول القضايا العامة ذات الوجهة السياسية البعيدة المدى ، مثل :

اولا ـ تحديد النهج السياسي والاقتصادي العام للدولة ، وعلى الصعيدين الداخلي والخارجي .

ثانيا ـ تنسيق نشاط الهيئات الحكومية وادارتها ، لما فيه مصلحة المجتمع .

ثالثا ـ انتقاء وتوزيع الكوادر المؤهلة ، على الملاكات الحزبية والحكومية .

رابعا ـ تعبئة الجماهير وتجنيد طاقاتها ، لحفزها على تنفيذ سياسة الدولة الاقتصادية التي هي في المحصلة سياسة الحزب .

خامسا ـ تفعيل دور الرقابة الحزبية والشعبية ، لتقليل هامش الاخطاء والارباكات وحصرها ضمن حدودها الضيقة .

وحتى ترقى السلطة الرسمية الى مستوى الاهداف التي يتوخاها حزبنا، وحتى تواكب متغيرات العصر، وتتماشى مؤسساتها مع متطلبات الثورة العلمية ـ التكنولوجية فقد اوصى المؤتمر القطري الثامن للحزب بضرورة تطوير آلية السلطة وتحديثها ، حيث جاء : « تحديث آلية العمل في الدولة ، وتطوير العلاقات الادارية والقانونية في مختلف المؤسسات ، بما يجعلها اكثر قدرة على خدمة الشعب وتلبية احتياجاته » . كما اكد المؤتمر القطري على المكتب القانوني في القيادة القطرية ، ضرورة اعادة النظر بكل التشريعات والقوانين النافذة التي تحتاج الى تعديل او تطوير .

لقد وفرت **حركة التصحيح** الظروف المواتية لان تاخذ السلطة دورها ، وتمارس صلاحياتها كاملة ، بعيدا عن تدخل الحزب في خصوصيات عملها اليومي ، واستبعد حزبنا في ممارسته النضالية ان يقف خلف كل مواطن وموظف رقيب حزبي . وهذا اوضحه **القائد المفكر حافظ الاسد** ، بقوله : **نحن لسنا فردا في الحكم ،**

ولسنا قوة عسكرية ، ولسنا عائلة ، ولسنا قبيلة ، وانما نحن قوة شعبية حزبية تمتلك أوسع الجماهير ، ونعبر بمواقفنا ، بسلوكنا ، باعمالنا ، تطلعات وآمال هذه الجماهير . !!

ان قيادة الحزب للدولة والمجتمع شرف ومسؤولية كبيرة ، وعليه يقع عبء تحقيق رغبات وتطلعات الجماهير ، في حياة حرة وكريمة ، ففي سياق ٢٨ عاما من عمر الثورة توضعت السمات الرئيسة لقيادة الحزب للدولة والمجتمع والتي تتجلى بـ :

اولا : في ضوء الاهداف الاستراتيجية للحزب تكتسب قيادة الحزب للدولة والمجتمع سمة الشمولية على المدى البعيد ، هي قيادة المجتمع العربي بأسره في ظل دولة عربية واحدة .

ثانيا : وقيادة الحزب للسلطة في القطر العربي السوري هي قيادة تاريخية مرحلية ، لتعم مستقبلا جميع ارجاء الوطن العربي ، بعد انتصار ثورة الحزب فيها .

ثالثا : وقيادة الحزب للدولة والمجتمع ، هي تجربة اساسية وحاسمة وعليها ، تتوقف عملية مواصلة النضال نحو اهدافه المنشودة .

رابعا : وتجربة الحزب في قيادة الدولة والمجتمع ، تشكل نموذجا يقتدى به من قبل الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، على امتداد الساحة العربية (١) .

---

(١) لمزيد من التفاصيل ـ راجع كراس : تجربة الحزب في قيادة الدولة والمجتمع في القطر العربي السوري ـ سلسلة الاعداد الحزبي ٢٦ .

اوروبـا الجديـدة
دورها وفعاليتها..

الرفيق: فوزي الجودة

كنا قد اوردنا في عدد سابق(1) من هذه المجلة دراسة بعنوان « **الوحدة الاوروبية .. مقدمات ونتائج** » واشرنا في نهاية الدراسه الى اننا سنستكمل البحث نظرا لاهمية اوروبا من حيث الموقع ، والدور والتاثير ..

واننا ننشر في هذا العدد دراسة تلقي الضوء فيها على جوانب اخرى حول **اوروبا الجديدة** ، والموقع الذي يمكن ان تتبواه ، والدور الذي تقوم به ، وهل ستشكل القوة الاوروبية الموحدة خطرا حقيقيا على مصالح الولايات المتحدة الاميركية ؟ وما هي الرؤية العربية لذلك ؟..

جملة من الاسئلة **نجيب** عليها من خلال هذه الدراسة في محاولة للاحاطة بالجوانب المهمة للدور الاوروبي المتوقع .. ولنخلص الى طرح سؤال في غاية من الاهمية :

هل ان قيام الوحدة الاوروبية سيكون حافزا للوطن العربي ان يتجه الى وحدته ؟ لانه يملك اسسا ومقومات تفوق كثيرا ما تملكه اوروبا : التاريخ ، واللغة ، والاقتصاد ... الخ .

(1) العدد ٢٤٦

من المتوقع ان تحتل اوروبا الموحدة درجة في المراتب الاولى في العالم اقتصاديا ، وسياسيا ، وعسكريا ، هذه الوحدة التي جاءت ثمرة لجهود جبارة بذلها الجنرال – ديغول – الذي اختلف مع سياسة الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي ، كما رفض الاندماج بشكل كامل في الحلف الاطلسي بالنسبة لفرنسا خصوصا ، واوروبا عموما ، وطالب ان تتمتع باستقلالية تامة فيما يتعلق بالعلاقات الدولية .

لقد شعرت اوروبا ان دورها في تناقص نتيجة الهيمنة الاميركية عليها ، الا ان شعورا دفينا لديها يحرك ما في داخلها باتجاه النزوع لقيادة نهج سياسي – **ليس جديدا** – ولكن في محاولة ان لا يكون تابعا للولايات المتحدة الاميركية ، **ولكن هذه رغبة وطموح ؟** ، وان هذا يستلزم الكثير على ارض الواقع باعادة النظر في كل شيء يحيط بها ، ولا سيما فيما يتعلق بالمسائل الاقتصادية ، والعسكرية ، والسياسية ، الا ان هذا كله يبقى مرهونا بمدى التلاحم الاوروبي – الاوروبي ، والقدرة الاوروبية على بناء البيت الاوروبي الذي لا يتمكن احد من انتهاك حرمته والتسلل اليه ، وان هذا **يحتاج الى عوامل عديدة اهمها :**

١ – **الاستقلالية الاقتصادية** لانه حتى الان هناك تشابك في العلاقات الاقتصادية الاوروبية – الاوروبية ، والاوروبية – الاميركية وما يزال الجزء الاكبر من الاقتصاد الاوروبي تابعا للتروستات والكارتلات الاميركية ، – **ربما تحتاج الى زمن** – ، **وربما كان** الدخول الى الشراكة غير المتكافئة سهلا ، اما الخروج منها فانه صعب كما يبدو ؟!..

٢ – **العلاقة العسكرية** التي جاءت نتيجة للعلاقات الاقتصادية التي حددت مسار العلاقات الاخرى ، وفي قمة هذه العلاقات **الدخول الى بوتقة الحلف الاطلسي** الذي تقوده الولايات المتحدة الاميركية ، والتي توزع الادوار فيه ، والتي تتحكم بالمستوى التسليحي له عدا عن شركاء السلاح – تروستات – ممتدة عبر

المساحات الجغرافية ـ السياسية ـ الاقتصادية ، الاوروبية ـ الاميركية .

٣ ـ **العلاقة السياسية** ، وهي التي تعكس غيرها من السياسات الاقتصادية والعسكرية ، وهي التي تبدو واضحة اكثر من غيرها لانها تدخل ضمن اطار التعامل اليومي في العلاقات الثنائية : الاميركية ـ الاوروبية ، والاوروبية مع دول العالم كافة ، وهذه هي المسألة التي تتماثل لتشق طريقا ليس جديدا ـ كما اسلفنا ـ . بل التدليل على الرغبة في الاستقلالية والتعبير عن راي مجموعة اصبح بينها ائتلاف ، وطريقها واحد الى الوحدة المنشودة .

ما هو الدور الجديد لاوروبا ؟

بعد ايقاف الحرب الباردة في العالم ، وبعد تحسن العلاقات السوفياتية ـ الاميركية ، وبعد ان انقشعت غيوم الصدام بين الكتلتين ، اصبحت اوروبا الان عنصرا لا ينفصم عن **الاستراتيجية العالمية الشاملة** ، وثمة قضايا كثيرة في السياسة العالمية تتعلق باوروبا لا يمكن اهمالها عند الحديث عن تطور مطرد للحوار بين الشرق والغرب .

ان اوروبا مرشحة ان تتبوا موقعا سياسيا ـ **ليس بالضرورة ان يكون عسكريا** ـ ولكن هذا الامر متوقف على مدى الاتفاق السوفياتي ـ الاميركي ، ونظرة كل جانب للدور الجديد لاوروبا في ظل تنامي قوتها ، ولا سيما بعد **تحقيق الوحدة الالمانية** وتعبيد الطريق باتجاه الوحدة الشاملة .

يشعر الاوروبيون انهم بحاجة الى صوغ قرارات مشتركة مع الاميركيين على صعيد السياسة العليا ، وهذا ما تتطلبه ايضا المسائل التي ستصطدم بها المجموعة الاوروبية يوميا،وحتى القضايا الصغيرة ، والتقنية منها بالغالب ، وهي من القضايا **المنذرة بالتباينات السياسية** والتي ستشكل فسيفساء سياسة خارجية عامة ، وسيحدث ذلك حتما خلال السنوات المقبلة .

النظرة الاميركية ..

السؤال البارز الان : هل ستشكل القوة الاوروبية الموحدة خطرا حقيقيا على مصالح الولايات المتحدة الاميركية ؟

لا شك في ان علاقات اوروبا المستقبلية ستكون اكثر تعقيدا مع الدول الصناعية ، ولاسيما مع الولايات المتحدة الاميركية . **واليابان خصوصا** ، اذا تحول الاوروبيون الى مجموعة تفكر بطرق جديدة لنفوذ اكثر في مجالات متعددة في بلدان من العالم من خلال ما تمتلكه ..

ونلخص فيما يلي الموقف الاميركي من الجماعة الاوروبية بما يلي :

١ ـ على الرغم من التفاؤل الذي ابداه بعض المسؤولين الاميركيين تجاه مشروع ١٩٩٢ الاوروبي ، الا ان هناك قلقا من فتح سوق موحدة للجماعة اكبر من السوق الاوروبية الموحدة ، غير مفتوحة تماما ، نتيجة التفسير الضيق لاجراءات وتنظيمات الجماعة .

٢ ـ الخوف من ان تطبق الجماعة لما يسمى **بقاعدة المنشا** حيث تميز ما بين الشركات وسلعها على اساس منشئها خارج اوروبا ، او داخلها ، مما يخلق تميزا للشركات التي تعمل فيها .

٣ ـ ان مشروع ١٩٩٢ من وجهة النظر الاميركية **عملية لفك القيود** ، وهذا ما اكدته وثائق الجماعة الاوروبية التي تدعو الى كفاءة اقتصادية اكبر :

٤ ـ وجود توجهات داخل الجماعة لتطبيق قاعدة : التبادل، خاصة فيما يتعلق بالمصارف ، بمعنى : وجود معاملة متساوية ومتماثلة في الحقوق للمصارف الاوروبية في البلدان التي تمتد مصارفها الى الساحة الاوروبية ، اذ تحصل على المزايا نفسها التي تحصل عليها في الجماعة .

ان الولايات المتحدة الامبركية تطرح قاعدة مختلفة هي قاعدة المعاملة القومية ، بمعنى : ان تحصل المصارف الاوروبية في الولايات المتحدة والمصارف الامبركية على المعاملة نفسها التي تلقاها المصارف الاوروبية داخل الجماعة .

٥ – تهتم الولايات المتحدة **بمسالة الحصص** التي قد تفرضها الجماعة الاوروبية بالنسبة للواردات خاصة تلك التي تحتوي على مكون اجنبي (طرف ثالث) ، وبتطبيق ذلك على الصناعات اليابانية في الولايات المتحدة الامبركية ، والتي ترغب بالتصدير الى اوروبا .

٦ – الخوف من وضع **مقاييس ، ومواصفات** تقوّم من خلالها الصناعات متعددة الجنسية .

٧ – ان درجة الاعتماد المتبادل بين الجماعة الاوروبية ، والولايات المتحدة ، واليابان من الكثافة والتعقيد بحيث منعت الجماعة من اتخاذ سياسات متفردة (مستقلة) في الامور الجوهرية .

مشروع رؤية عربية ..

من الجدير ان يكون للعرب نظرة حول قيام اوروبا الجديدة لان للعرب وللاوروبيين مصالح مشتركة ، وما ان وقف الحوار العربي – الاوروبي حتى تعالت اصوات تنادي باستئناف هذا الحوار لتحقيق اهدافه التي قام من اجلها ، ن العرب والاوروبيون قد عقدوا اربعة اجتماعات رسمية في اط عملية حوار ، سبقها اتصالات مكثفة على الرغم من العلاقات العربية – الاوروبية ، القديمة – الجديدة ، والتي استؤنفت بحرارة اكثر مع قيام حرب تشرين عام ١٩٧٣ ، ومع التلويح بايقاف تصدير النفط العربي عن بعض دول اوروبا .

ان العلاقات العربية – الاوروبية تمر الان عبر ثلاث مستويات :

آ – العلاقات الثنائية بين كل دولة عربية على حده وكل دولة اوروبية ، ايضا على حده .

ب – علاقات كل دولة عربية على حده مع الجماعة الاوروبية ، سواء كانت من خلال ما سمي بالسياسة « **المتوسطية** »(١) للجماعة ، او سياسة « **لومي** » ، والحوار الاوروبي – الخليجي بين دول مجلس التعاون الخليجي والجماعة ، وهكذا فان هناك سبع عشرة دولة عربية لها علاقاتها الثنائية مع الجماعة مباشرة .

ج – علاقات جماعية بين الجامعة العربية والجماعة الاوروبية من خلال الحوار العربي – الاوروبي الذي كان منذ منتصف السبعينات الهدف العربي منه دفع الجماعة لاتخاذ مواقف متقدمة ومناصرة للحق العربي من خلال الصراع العربي – الصهيوني .

ان مشروع اوروبا الجديدة ١٩٩٢ سوف يطرح على الوطن العربي الكثير من المهام الجديدة لتحديد علاقات في ضوء المواقف الجديدة لاوروبا ، وهذا لايعني ان العلاقات القديمة والقائمة **ملغية** ، بل ان العلاقات الجديدة هي استمرار لها ، ونعود للنظرة من خلال ماكنا قد طرحناه في مستوى العلاقات القائمة :

● على المستوى الثنائي ، فان الامر يتوقف على الاهمية النسبية لكل دولة عربية على حده بالنسبة لدول الجماعة ، وميزان العلاقة القائم بالفعل ، وان هذا المستوى يعطي اهمية دون غيره ، واننا نرى ان هناك علاقات ثنائية بين دول عربية وبين دول اوروبية لم تنتظر نتائج الحوار العربي – الاوروبي لكي تنظم هذه العلاقات .

● على مستوى علاقات الدول العربية بالجماعة ربما يتيح مشروع ١٩٩٢ للدول العربية ان تجد سوقا أوسع وساحة لترويج التكنولوجيا ارحب نتيجة اشتراك دول قريبة من الوطن العربي كـ « اليونان واسبانيا » في التكنولوجيا الاوروبية المتقدمة ، ولكن يبدو ان الدول العربية غير قادرة على استغلال مثل هذه الفرص نظرا لضعف القاعدتين الاقتصادية والعملية قياسا بدول المجموعة .

---

١ – المتوسطية وتضم دول المغرب الثلاث ، ومصر ، وسورية ، ولبنان ، والاردن و « لومي » التي تضم : موريتانيا ، وجيبوتي ، والصومال ، والسودان .

● فيما يتعلق **بالحوار العربي ـ الاوروبي** ، فانه لم يحقق الا تحسنا نسبيا في الموقف الاوروبي من القضية العربية ، وانه لم يحقق ايا من الاهداف المرجوة منه ، في الوقت الذي تدعمت فيه العلاقات الاوروبية مع كيان العدو الصهيوني « اسرائيل » . والسبب في ذلك : **ان الجانب الاوروبي جعل منه حاجة ورغبة غربية اكثر مما تكون اوروبية ؟** والشيء الاخر : **ان التوازن بين الطرفين المتحاورين غير متوفر** ، ولا سيما في وضع اوروبا الجديد بعد التحولات التي جرت في بلدان اوروبا الشرقية .

ان العلاقات مع اوروبا ، دولا وجماعات **يتوقف تطورها على الجانب العربي نفسه ، ومدى قدرته على التعامل مع اوروبا الجديدة القوية** ، الجانب العربي الذي يلفه الضعف من كل حدب وصوب ، وهذا ما يقلل من اهميته في عملية الحوار مع الجماعة القوية ، وانه اذا اتيحت بعض الفرص للاستفادة ، ولا سيما في **مجال التقدم التكنولوجي** الاوروبي فلم تجد الارضية العربية التي تستطيع ان تواكب ذلك ولم تستطع الافادة بالشكل الافضل .

ان ما ينخر المجتمع العربي من ضعف وتراجع **(الايدز الاقتصادي والسياسي)** وهدر لطاقات الإمة العربية وامكاناتها لا يجعل من الدور العربي دورا فعالا يمكنه من مواجهة ما حوله وكيفية التعامل معه ولاسيما ان ماهو مطروح هو ايجاد **نظام عالمي جديد** . ويبقى السؤال الملح الذي يطرح نفسه : **ما هو موقع الوطن العربي ودوره في اطار ما ينزع اليه العالم لايجاد هذا النظام ؟..**

واخيرا ...

في ظل التكتلات الاقتصادية الكبيرة ، فان بلدان اوروبا الغربية قد قررت الغاء الحدود بينها ، وتوحيد قدراتها الاقتصادية وتعزيز دورها السياسي في عالم التكتلات العملاقة ، وقد وجدت الطريق

امامها ممهدة لم يرتفع صوت(١) جاد لمقاومتها باسم السيادة الوطنية او حق شعوبها في الاستقلال رغم ما بين دولها من تباين ، وتعدد في اللغات ، والمشارب ، ولم تجد الدولتان العظميان في التكتل الاوروبي **اخلالا** بالقوانين الدولية ، او **تهديدا** للسلام العالمي على الرغم من ضخامة هذا التكتل الذي سيصبح بعد عام ١٩٩٢ **اكبر تجمع صناعي ـ اقتصادي في العالم .**

وهل ان قيام الوحدة الاوروبية سيكون **حافزا** للوطن العربي ان يتجه الى وحدته ؟ ، لانه يملك مقومات واسسا تفوق كثيرا ما تملكه اوروبا ، التاريخ ، واللغة والاقتصاد .. الخ .

١ ـ ارتفع صوت السيدة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا السابقة في كثير من المؤتمرات واللقاءات والاجتماعات ، الا ان هذا الصوت كان نشازا ، وربما كان هذا من احد الاسباب المهمة التي ساهمت في انهاء حقبة السيدة تاتشر .

المراجع

ـ ساطع نور الدين ، كتابة التاريخ بالالمانية ، جريدة السفير ١١ـ١١ـ١٩٨٩ .

ـ جريدة القبس الكويتية ـ الاعداد : ٦٤١٤ تاريخ ١٧ـ٢ـ١٩٩٠ ، و ٦٤٢١ تاريخ ٢٤ـ٢ـ١٩٩٠ ، و ٦٤١٩ تاريخ ٢ـ٦ـ١٩٩٠

ـ مجلة الارض ـ العدد ١١ تشرين الثاني ١٩٩٠

ـ مجلة الدفاع العربي ـ كانون الثاني ١٩٩١

ـ مجلة المستقبل العربي ـ العدد ١٣٦ ـ حزيران ١٩٩٠

ـ جريدة الراي العام الكويتية ـ العدد ٩٤٨٥ تاريخ ٧ـ٥ـ١٩٩٠

ـ مجلة البناء ـ صباح الخير ـ العدد ٧٥٦ تاريخ ٦ـ١٠ـ١٩٩٠

ـ مجلة الاسبوع العربي ٤ـ٦ـ١٩٩٠

ـ كتاب اوروبا الغربية والصراع العربي الصهيوني ـ فوزي الجودة ١٩٨٣

ـ كتاب أوروبا الجديدة والعرب ـ فوزي الجودة ـ ١٩٩١

نشاطات ووثائق

القيادة القومية

● زار وفد حزبي قيادي من الحزب الشيوعي الصيني برئاسة الرفيق تشياوشي عضو اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للجنة المركزية ، الجمهورية العربية السورية في الفترة ما بين ٢٨–٥ و ٢–٦–١٩٩١ ، وذلك تلبية لدعوة من القيادة القومية للحزب .

استقبل الوفد من قبل **الرفيق الامين العام للحزب المناضل حافظ الاسد** ودار الحديث حول الوضع الدولي والاوضاع في منطقة الشرق الاوسط والجهود الدولية الجارية لتحريك عملية السلام فيها . والعلاقات بين الحزبين والبلدين الصديقين .

وقد اكد الرفيق الامين العام للحزب استمرار سورية بالعمل لاقامة سلام عادل وشامل مبني على اساس قرارات الامم المتحدة واستعدادها الدائم للتعاون مع الجهود الرامية الى تسوية ازمة المنطقة وفق المعايير الموحدة للشرعية الدولية .

اجرى الوفد مباحثات حزبية مع وفد قيادي من حزب البعث العربي الاشتراكي **برئاسة الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد للحزب** ، تم فيها استعراض النمو المضطرد لعلاقات التعاون بين الحزبين وبحث الاجراءات التنفيذية لتطوير وترسيخ هذا التعاون لما من شانه توطيد عرى الصداقة التقليدية بين الحزبين وبين شعبي البلدين الصديقين ، واجرى الوفد اثناء زيارته لقاءات مع بعض القياديين في الحزب والدولة ، واطلع على عددمن المنجزات التي تحققت في سورية **في ظل قيادة الرفيق الرئيس المناضل حافظ الاسد** . كما اطلع على عدد من المعالم الاثرية والحضارية في بعض المحافظات السورية فكانت انطباعاته ايجابية عن الزيارة وابدى

اعجابه وتقديره للتحولات التي تشهدها سورية ، عكست وسائل الاعلام انطباعاته من خلال تصريحاته التي ادلى بها .

ان للصين علاقات تقليدية وطيدة مع سورية ومع امتنا العربية وانها تحظى بتقدير **شعبنا واحترام قيادة حزبنا وهي مؤيدة لنضالنا العادل من أجل استعادة اراضينا وحقوق الشعب العربي الفلسطيني المغتصبة** . وتعتبر الصين نفسها من بلدان العالم الثالث ، وتتبنى المبادىء الخمسة للتعايش السلمي في علاقاتها مع شعوب وبلدان العالم ، وانها من الدول دائمة العضوية في الامم المتحدة واكبر دولة بالنسبة لعدد السكان وتتبوأ موقعا مهما في العالم ، وان تطوير العلاقات معها مهم ويحظى باهتمام حزبنا وبلادنا ، ولاسيما في ظل الظروف الدولية الراهنة ، مع الاشارة الى أن العلاقات بين الحزبين قد تطورت بشكل متسارع في السنوات الاخيرة .

منظمات الحزب القومية داخل الوطن العربي

القطر العربي السوري

● في الثاني والعشرين من شهر ايار ، وفي جو اخوي ولحظة تاريخية وقع **الرئيسان حافظ الاسد والياس الهراوي معاهدة الاخوة والتعاون والتنسيق بين الجمهورية العربية السورية والجمهورية اللبنانية** في قصر الشعب بدمشق .

وتشكل هذه المعاهدة تجسيدا لاحد بنود اتفاق الوفاق الوطني اللبناني الموقع بالطائف وانجازا كبيرا يتوج الوفاق الوطني اللبناني، ويحقق المصلحة المشتركة بين البلدين الشقيقين ويرمز الى الحد الادنى للعلاقات التي تحكم أبناء الشعب الواحد الذي يعيش في بلدين مستقلين ، والترابط بالتاريخ والدم والمصير المشترك .

وقد عبر الرفيق المناضل الامين العام للحزب الرئيس **حافظ الاسد** في كلمته الترحيبية بالرئيس الهراوي وبرئيس واعضاء الحكومة اللبنانية وخلال المؤتمر الصحفي بعد توقيع المعاهدة عن هذه الحقائق بما يلي :

١ – ان ما بين سورية ولبنان لم نصنعه نحن وانما صنعه الله فكان التاريخ والجغرافية المشتركة والدم المشترك . وما تم هو بعض

ما تعكسه الموروثات المشتركة التي لا يمكن أن تزول أو تمحى بمرور الزمن لانها الحقيقة الحياتية ..

٢ ـ ان المعاهدة هامة لانها **تزيل الضباب الكثيف** الذي يحيط بنا لتظل الحقيقة ساطعة لا تغيب عن الابصار وفي ذلك قوة للبنان وسورية ..

٣ ـ ان المعاهدة هامة لكونها **تمثل علاقة بارزة في اطار المسيرة المشتركة للبلدين** وترسم خطوطا وقواعد لتنظيم العلاقات بينهما مما يؤمن الاستقرار والقوة لهذه العلاقات ويفتح الآفاق واسعة لتعاون اخوي في مختلف المجالات . كما انها تضع اساسا لمناخ اكثر صفاء في المستقبل ..

٤ ـ **ان ما هو خير للبنان خير لسورية** ، وما هو خير لسورية خير للبنان ، والامن والنماء في احد البلدين لابد ان ينعكس على البلد الشقيق الآخر . وسورية ستعمل بكل قوة من اجل مصلحة لبنان الشقيق وتقف الى جانبه في السراء والضراء مهما تكن الصعاب ، وستقدم كل دعم للسلطة الشرعية حتى تفرض سلطتها على جميع الاراضي اللبنانية ..

٥ ـ **نحن امة واحدة هي الامة العربية** ، ولم يكن ممكنا ان نقدم على خطوة كهذه لو راينا فيها عكس مصلحة شعبنا في لبنان او امتنا العربية ..

٦ ـ ان اسرائيل ليست حريصة ابدا على ان تتحسن الامور في لبنان وعلى ان يخرج لبنان من حمامات الدم . والاسرائيليون يفكرون بما يضر لبنان وسورية ويخدم اسرائيل ، كما انهم يرفضون التجاوب مع رغبة المجتمع الدولي لتحقيق السلام ، ومن المعروف عالميا ان من يعيق السلام هو اسرائيل .

القطر الفلسطيني

● **اصدرت القيادة القطرية للتنظيم الفلسطيني لحزب البعث العربي الاشتراكي بيانا في ذكرى اغتصاب فلسطين التي تصادف الخامس عشر من ايار جاء فيه :**

تحل الذكرى الثالثة والاربعون لاغتصاب فلسطين ، هذا العام وشعبنا الفلسطيني وامتنا العربية اكثر عزيمة واشد اصرارا على

مواصلة طريق الكفاح بالرغم من كل التحديات والمصاعب الكبرى التي تعترض مسيرة نضالنا الوطني القومي .

اننا في التنظيم الفلسطيني لحزب البعث العربي الاشتراكي ، ونحن نلتزم بمسيرة العمل الوطني ـ القومي وفي مقدمتها تحرير الارض واستعادة الحقوق المغتصبة ، نرى في انتفاضة شعبنا الباسلة احد عوامل انجاز تطلعاتنا المشروعة ، نؤكد في الوقت ذاته ان تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية يمثل مطلبا ملحا يستدعي من كافة الفصائل والقوى والشخصيات الوطنية الفلسطينية العمل الجاد لتحقيقه ، ليس فقط لوضع حد لحالة التمزق التي تعيشها الساحة الفلسطينية ، وانما ايضا للارتقاء بسوية ادائنا الكفاحي داخل الوطن المحتل وخارجه وصونا لثوابت نضالنا الوطني القومي ..

ونرى في الصيغ والطروحات التي اتخذتها جبهة الانقاذ الوطني الفلسطينية اساسا مناسبا للشروع في خطوات من شأنها ان تخدم هذه الاهداف على اساس ان منظمة التحرير الفلسطينية الموحدة هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني والتمسك بحقوقنا الوطنية الثابتة بما فيها حق العودة وتقرير المصير وبناء الدولة الفلسطينية المستقلة فوق ترابنا الوطني وتصليب قاعدة التلاحم النضالي السوري ـ الفلسطيني في مواجهة العدو ومخططاته العدوانية التوسعية والتصفوية .

القطر العراقي

● يستمر النظام العراقي في حربه ضد **شعب العراق** ، ويقاتل بلا هوادة للحفاظ على السلطة في وطن مدمر وعلى اشلاء هذا الشعب .

على الرغم من مرور اكثر من اربعة اشهر على وقف العمليات الحربية في الخليج فحملات النظام العراقي تتوالى على ابناء الشعب دون مراعاة ، وغير آبهة بمعاناته وحاجاته للتغلب على الواقع المأساوي الذي يعيشه والمعاناة التي الحقها به هذا النظام ، وآثار التدمير الشامل الذي سببه هذا النظام المستهتر بالشعب ، فتقوم قواته بالضرب في الشمال وفي الوسط وفي الجنوب ، وتقوم هذه القوات حاليا بمحاصرة مئات الالوف من المواطنين العراقيين في عدة مناطق

في الجنوب وتطلق عليهم النيران نظرا لرفضهم الخضـوع للنظـام والاستسلام له .

وان المفاوضات الجارية منذ اكثر مـن شهر بـين النظـام والمعارضة العراقية الكردية تتعثر ، ويشعر المواطنون العراقيون الاكراد في الشمال بحالة من القلق ويتاهبون لمغادرة مدنهم التي عادوا اليها ثانية خوفا من بطش النظام ، ونظام صدام حسين الذي اذل العراق وكبله لسنوات طويلة بقيود يصعب على الشعب تحملها لوقت طويل ، مايزال يقدم التنازلات ويلبي كل الطلبات الخارجية من اجل الحفاظ على نفسه وانه يعتمد اسلوب المناورة والخداع للراي العام في الداخل والخارج موهما اياه بأنه يريد تطبيق الديمقراطية الا انه لم يكن يوما من الايام صادقا في وعوده ، لانه غير جدي بما يطرحه وغير مؤهل لتحقيق الديمقراطية بين ابناء شعبه او حل مشاكله ، **وان مشكلة الشعب الاساسية اليوم هي مع هذا النظام ، وان ايـة عملية لانقاذ العراق غير ممكنة في ظل بقاء هذا النظام .**

ان النظام العراقي كما يتضح يتعاون **مع الشيطان** مـن اجل استمراره في الحكم على الرغم مما جلبه للعراق من خراب ودمـار وما الحقه من اضرار بالامة العربية وقضاياها النضالية، وان **شعب العراق وقواه المنظمة من مختلف التيارات والفئات وبالرغم مـن المعاناة والظروف الصعبة المحدقة بها تقف في موقف موحد ضـد ممارسات هذا النظام واستمراره ضد ارادة هـذا الشعب** ، وان نضال هذه القوى والتنظيمات منصب على تنفيذ البرنامج الـذي اتفقت عليه القوى واعلنته في برنامج للجنة العمل المشترك للمعارضة العراقية ، واكدت عليه ثانية في **مؤتمر المعارضة العراقية في بيروت.** وان المحاولات الجارية لابراز التناقضات بين اوساط المعارضـة ، وزعزعة الثقة بين قواها لن تنجح ، ولن تحقق اهدافها .

وان شعب العراق يحتاج الى دعم ومساندة من اجل حمايته من بطش النظام الفاشي ، ومن اجل استعادة **الدور الوطني والقومي للعراق** ، وان كل هذا مرهون بالتخلص من هذا النظام .